ذنوب جميلة

رواية صلاح والى

دراسة

د. مجدى توفيق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٦

إشراقات جديدة

تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب

والى ، صلاح
ذنوب جميلة : رواية / صلاح والى ؛ دراسة: مجدى توفيق.
ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
١٠٤ ص ؛ ٢٠ سم. (سلسلة إشراقات جديدة)
تدمك ٣ ٢١٣ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ القصص العربية
(أ) العنوان

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٥١٩/ ٢٠٠٦

I.S.B.N 977 - 419 - 213 - 3

ديوى ٨١٣

(١)

الله ربنا حبيبنا المعبود

الجالس فى السماء على عرش عال من الذهب والنعمة

خلق لنا الحب واللهفة والشوق والحنان

وجعل المرأة تحب الرجل والرجل يحب المرأة

والذكر يحب الأنثى، والأنثى تحب الذكر

فتأتى لنا الأطفال والكتاكيت

والعصافير تزقزق مبتهجة

والحمامات توحد الرحمن

فتسعد جميعا

فمن خلق الخيانة؟

وقسوة القلب؟

والكذب والفراق والهجر؟

(من تأملات أمينة فى الحياة)

(٢)

كان يظن أننى طوبة ليست لى أى مشاعر وكنت أعرف كل شىء وأحس به، وكنت كثيرًا ما أراهم معًا، هل تعرف أنه عندما تعرف على وجاء إلى أمى وطلبنى كان يحبها ولكن لم يكن عنده أمل فيها أبدا، وفى كل مرة كان يتقدم لى فيها عريس كنت أرفض بلا سبب، ولا أدخل إلى حجرة الصالون أبدًا وكان أبى يضحك ويقول على كيفك؛ وأمى تقول: يا كسوفنا أمام الناس لن يضيع هذه البنت الا دلعك لها.

ولست أدرى من أين كانت تجيئنى تلك السعادة وأنا أمتنع وإن كنت أتجهم بعد ذلك طوال اليوم ثم يصبح ما حدث مادة للحديث بينى وبين صديقاتى وكنت سعيدة جدًا بتعجبهن مما أفعل وأحس بأنني مميزة عنهن.

- ربما كنت أرفض حتى أحس وأتأكد بأننى مرغوبة أكثر من مرة، أو كما تقول لأننى لست جميلة وملفتة للنظر، ومع ذلك كنت أعاكس طوب الشارع وألبس الجنز والقميص الكاروه وألعب بالزلط الموجود بالشارع حتى بعد أن أخذت دبلوم السكرتارية ولم أحس أبدًا أننى كبيرة.

وفى ليلة من الليالى رأيت فى نومى بعد صلاة العشاء نورًا أبيض يقف أمام سريرى فوقفت أمامه فألبسنى طرحة بيضاء وجلبابًا طويلا وأسدل طرحتى على صدرى حتى وصلت ركبتى ثم اختفى، وصحوت من النوم وأضأت النور وتأملت ما حدث وكنت أحسّه فى الغرفة معى وحاولت النوم ولكن كان الصداع سيفلق رأسى، خرجت من الحجرة والكل نيام فوجدت فى الصالة إشارب لماما على الأنتريه فوضعته على رأسى ودخلت حجرتى وكنت متأكدة أننى سأنام ونمت فعلا.

وفى الصباح بحثت عن جيب طويل ولبسته وكان واسعا علىّ ولكنى صممت على ارتدائه وفوقه بلوزة ثقيلة وطويلة تدارى (الهنش) تماما ولففت رأسى بالإيشارب وخرجت إلى الصالة.

فزعت أمى وكأنها ترى مخلوقا عجيبا أمامها: خير يا أمينة؟!

- الحمد لله خلاص

- بدون مناسبة؟!

- ....

زعقت أمى بانكسار ملحوظ: غيرى هدومك يا أمينة بلاش هبل لم أرد ولم أفطر وخرجت إلى الشغل بهذه الملابس وأمى واقفة فى ذهول تتمتم: الحق البت يايا.........

لم أسمع باقى كلام أمى وخرجت الى الشارع.

فى المكتب لم يتعرف على أحد من الزملاء وعندما تحقق الشيخ حسنين منى قال ساخرا: مدد يا شيخة أمينة. لم أرد عليه ودفنت نفسى فى أوراقى ثم قمت لكأنما شىء ما يحملنى ويسير بى وأنا بلا إرادة ووجدتنى أمام بائع الجرائد، ووجدته هناك ينام وسط الكتب اختارنى فحملته على صدرى وقال البائع: جنيهان فأعطيته ولم أنتظر الباقى وعدت به وأنا أحمل كل كنوز العالم وجلست إلى مكتبى فقالت نعمة زميلتى: المدير طلبك

ذهبت إلى مكتب المدير ودخلت فلم يعرفنى وعندما كلمته قال باندهاش: باسم الله ما شاء الله خير يا.. يا ست الكل ربنا يهدى.

لم أرد ولم أنظر إليه وكنت أحس لحظتها أننى أسمو فوق الجميع.

فقال: شيك المكافأة لحسن العمل الموظفة المثالية يا أمينة.. مبروك.

أخذت الشيك وانصرفت وعدت إلى مكتبى وكان راقدا فى انتظارى ففتحته كيفما اتفق وأخذت أقرأ.

«قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا. قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا.، فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا»

توقفت كثيرًا أمام كل هذا وأنا لا أفهم ولكن كنت أنتفض من الخوف والرهبة ووجدتنى أبكى وأنكفئ على المصحف، لا أدرى كم من الزمن مضى ولست أدرى أين كنت؟ ولكن يد نعمة هزتنى وقالت وهى تمسح على رأسى: الانصراف يا أمينة.

قمت معها ولم تتركنى وسرنا على الكورنيش: خير يا أمينة... أنا أختك قولى كل شىء سرك فى بير.

لم أرد عليها وزعق صوت غليظ خشن عندما مررنا أمام شباب يتسكعون على الكورنيش

- خدت زومبة يا جميل معلش كده أسهل برضه الحياة صعبة يا جدعان

لم أتكلم ولكنى بكيت، وقلت: بالجينز لم أسمع كلمة واحدة غير يا جميل، هز يا وز، العربة وصاحب العربة فى الخدمة؛ والآن أتهم وتصير الدعوة مفتوحة إلى الحضيض، أوقفت نعمة تاكسيًا

ورافقتنى إلى البيت وصعدت معى وكانت أمى قد عادت إلى البيت واستفسرت نعمة من أمى ولكن أمى قالت لها ما حدث منذ صباح اليوم بلا مقدمات فصرخت نعمة: لن أخرج من هنا حتى أعرف السبب.

وأخذتنى من يدى إلى حجرتى وجلسنا على السرير وحكيت لها الحكاية ولكنها لم تقتنع وامتلأت عيونها بالشك فى كلامى ولما لم تجد شيئًا آخر قالت بشك أكبر: ربنا يهدى يا بنت عبدالعاطى.. أنا نعمة سأعرف كل شىء، وكنت قد تعرفت عليك قبلها بأيام ثم حدث موضوع الامتحانات وموقف المنقبات منى، يا سبحان الله؟ أيام كأنها لم تمر إلا من يوم واحد، بعد انصراف نعمة صليت الظهر...،

قلت فى نفسى بعد صلاة الظهر: هل هو كان السبب وراء هذا نحن لم نتكلم وإن كان قد وقف إلى جانبى فلأننى وقفت إلى جانبهم؛ كيف يكون السبب وأنا لم أره منذ فترة بعيدة؟.. وقلبى مقبوض ومشتاق إليه خالص.

(٣)

آه يا أحمد

آه ه ه ه هه

من الذى قتلنى عندما صدمك بسيارة النقل المسرعة؟!

من الذى رمى بخمارى فوق الأرض فتهشمت روحى عندما تهشمت جمجمتك؛ على الأسفلت؟

من يا أحمد؟ قل على الأقل أنت رأيته

آه يا أحمد

ليتنى أمتلك لك كل دموع الدنيا لتنزل فأغسل لحيتك من الغبار ومن الدم المتخثر بعد قتلك ولكن لا.. فالشهداء يكفنون فى دمهم ليكون مسكا يوم القيامة.

إن دمك المسفوح على الأسفلت بفعل فاعل يلوث يدى كل ليلة فأرتعد كأنما اشتركت فى مصرعك،

آه يا أحمد

لماذا كتبت لك هذه الورقة الصغيرة مع الإنذار النهائى من الكلية حيث كلفنى ولأول مرة مراقب الكلية اكتبى على ظهر الإنذار «الإنذار الثالث» وكنت أعرف أنه الأول ولكن كانت طريقة قانونية للخلاص منك، وعندما سألتهم: منذ متى ترسل الكلية إنذارات إلى الطلاب؟

هب وكيل الكلية قائلا: من اليوم يا حاجة

فكتبت الإنذار الأول وأرفقت معه تلك الورقة الصغيرة التى كانت بابا للدخول إلى الهول، وانقلاب حالى كتبت عليها

الأستاذ/...... ولى أمر الطالب/ ...... نحيط سيادتكم علما أن حضوركم إلى الكلية هام لمصلحة نجلكم، «ملحوظة» هذه الورقة لاتعلم بها إدارة الكلية برجاء عدم ذكرها عند حضوركم ووقعت أمينة.

لماذا جاء والدك وأخوك كان بإمكانهما عدم الحضور يا أحمد، كنت أريدك أنت أريد أن أراك وأنت تبتسم وتقول «بارك الله فيك»

هل صحيح يا أحمد أن جلبابك الأبيض قد اتسخ من تراب الشارع؟

هل كنت تكنس عليهم مصر كلها وليس الحسين أو أم هاشم؟ أم كنت تكنس أحزان العالم؟!

تكنس أوجاع الإنسان وشوقه الى الحرية هل كنت تعرف أن النور سيعلو بالجزائر فيقتلوه مثلك تماما؟

إنها القرابين للآلهة منذ فجر التاريخ ثم صارت للطواغيت، بهذا تكون أنت امتدادا منذ فجر التاريخ لكل القرابين والنذور التى كانت ومازال دماء؛ وها أنت تمتد من إسماعيل الذبيح والمسيح المصلوب، وآلاف الضحايا والشهداء، والمصروعين والمشلولين فى سجون الحكام.

وتظل الضحايا والقرابين فى حالة طزاجة دموية حتى ترتفع راية الحق ويتم الله نوره ولو كره المشركون.

ستظل لحيتك وشبابك المغدور يقطر دما على وجوههم وعلى حضارة القرن الواحد والعشرين يظل وجهك الباسم، ولحيتك السوداء، ومحياك النبيل، وحياؤك، ورائحة المسك فى لحيتك، ونقاء قلبك وجلبابك الأبيض، تمتد لتمسح يد العار عن الإنسان وتنير له درب الحق وتعلى مشعل النور فى كل مكان ،نارا فى قلب كل من عرفك وآمن بقضيتك إنها نار لن يهدأ لها إوار.

لماذا قلت لى: أنت يا أخت جميلة وستكونين جميلة أكثر إذا أطعت الله وارتديت الخمار والملابس الطويلة؟ ومع أنى كنت أحس سعادتى فى الجينز والقميص الكاروه أسود فى أحمر الا أننى أطعتك؟

كنت سعيدة بالكعب العالى قوى وبشعرى الـ جرسون.

الا أننى غرقت فى عينيك فلم أعرف الإفاقة من يومها عندما ضربتنى بصاعقة من عينيك يا أحمد.

أنفك الطويل. عينك السوداء الواسعة العميقة، جبينك الوضاء، لحيتك السوداء، ابتسامتك الغالية، أسنانك البيضاء، السواك فى جيبك، العطر مسك فى لحيتك وعود مكى فى جلبابك كل هذا أعطيته لى فى دقيقة واحدة فى هذا اليوم، هل كل هذا ضرب بالأسفلت بلا رحمة وداستك عجلات سيارة النقل الكثيرة مرات ومرات تدوس عليك؟! لماذا يا أحمد لا يتسع صدر الناس للحق هل عاد أبو لهب وأبو جهل الى العناد هل لابد من الهجرة من مكة إلى المدينة؟! لماذا لم تهاجر يا أحمد؟!

رأيتنى لحظتها وأنا أمامك بالخمار والجلباب الطويل ولم أكن قرأت شيئًا فى كتاب الله أبدا إلا النصوص التى كنا نأخذها بالمدرسة وكنت إذا صمت رمضان فمع الصائمين وأصلى فى رمضان لأنه شهر العبادات وأتبع خطو أمى فى الصلاة بكبريائها الشديد وأبى بطبيعته المسالمة ولم أكن أفهم أى شىء ولا أحاول أن أمثل ولكن كنت أرتاح خالص وأنا أفعل هذا وأدارى شعورى، ولكن اليوم غير الأمس.

وبعد عودتى من العمل دخلت حجرتى وخلعت كل ملابسى ولكننى لم أستطع أن أواجه جسدى أبدا فى المرآة فأدرت وجهى

إلى الجهة الأخرى ولبست قميص نومى الشتوى وربطت شعرى بإشارب ولففت رأسى به ولكنى خفت من زوجى وكنت أنت سرى الذى لا يعرفه مخلوق فى هذا العالم، فأنا اكتفيت بك وارتويت بسيرتك فما حاجتى لأن أقول؟! ولمن ومن؟! من يستحق حسنك غيرى يا سيد الناس؟ إلى أن ذهبت غاضبة عند أمى وكان الموضوع بعيدا عنى فإذا به يحضر بعد حضورى مباشرة ولكن وحياتك يا أحمد لم أنظر إليه وانصرف دون أن أراه، وأعود من العمل على بيت أمى ومعى صديقتى نعمة وبعد انصرافها أتوجه إلى الحمام فأتوضأ وأصلى الظهر والعصر، وكنت أحس ساعتها أننى عروس فى يوم جلوتها ورغم ذلك لم أنظر إلى جسدى أبدا وكأننى نسيته وعندما جلست فى ختام الصلاة هجم على البكاء فصعدت على السرير وانخرطت فى بكاء مرير ولمحت حقيبتى وتذكرت المصحف بها فأخرجته بيسر وسهولة وفتحته كيفما اتفق وتذكرتك فأخذت المصحف فى حضنى كأنك أنت وأنا أحس أنك ابنى وأنا أمك وأختك وتمنيت أن أكون زوجك، وفتحت المصحف وقرأت «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون..»

وفتحته مرة أخرى أستنطقه وأستجليه «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا».

قلبى يرتجف وينخلع يا أحمد ليتنى أعرف الطريق إليك يا روحى

وجاء صوت أمى: الغدا يا أمينة

ولم أرد.. ولكنى خرجت

- ماما أنا عايزه الجيبات الطويلة

نظرت إلىَّ فحالى لم يعجبها من اليوم السابق وقالت:

حاضر

وضحك أبى وقال: ربنا يهدى؛ بس لما ترجعى لجوزك ما ترجعيش فى كلامك.

قلت: لا يمكن

وكنت أحس أنك أنت زوجى؛ وأكلت معهم وأنا أحس أنك تأكل معى.

انتظرت طلوع النهار بفارغ الصبر وكنت قد صليت المغرب والعشاء وعشر ركعات لله وقرأت صفحات متفرقة من المصحف؛ صحيح أن قراءتى ممكن أن تكون غير صحيحة ولكن كان وجهك يطمئننى ويصل قراءتى بالسماء؛ وجاء الفجر وصليت ركعتى قبل الفجر ثم الفجر ورفعت كفى إلى السماء وقلت: يا رب.

ولم أكمل وهطلت الدموع وانتهيت من الصلاة ونمت على السجادة على جانبى الأيمن وأخذت أدعو الله بدعاء الصباح، وصحوت على صوت أمى: أمينة خير يا أمينة، لا حول ولا قوة إلا بالله... استرها يا رب معنا ولا تشمت فينا عدو.

وانتفضت ووجدتنى راكعة فوق السجادة فقمت وغسلت وجهى ولبست ملابسى الطويلة وخرجت إلى الشغل؛ وأخذت تاكسيا وانتظرتك ووجدتك من بعيد كان دمى يجرى إليك ويحضنك فأنت ولدى الجميل آخذك فى حضنى.. ومررت من أمامى ولم ترفع عينك فى؟! لماذا يا أحمد؟ أحس أن رائحتى أحمد فلماذا لم ترنى؟

...... هل كان شكلى قد اختلف كثيرا؟!

- استاذ أحمد

والتفت تجاهى وناديت عليك مرة أخرى لكأن اسمك نبض الحياة؛ وابتسمت لى ولم تعرفنى

- أهلا... السلام عليكم

ومددت يدى إليك فسلمت على، لمس الأصابع يسرى فى دمى كهرباء ووجدا، يدك الرقيقة كانت تقبض على قلبى وأحس خشونة يدى على يديك؛ ورأيت الفرحة فى عينيك وقلت فى نفسى: تزوجنى يا أحمد أنا لك وأنت لى وابتسمت لى وكأنك كنت تقول لى حاضر نعم.

أى كلمة جميلة تلك التى تهز كيانى عندما تنطقها لكأن حروفها لم تخلق قبل الآن وخلقت توا من أجلك.

ـ نعم.. بارك الله فيك... ألف مبروك.

ـ ألف مبروك علينا جميعا.

سمعتها وابتسمت ولست أدرى هل فهمتها كما قلتها أم لا؟!

رأيت حرجك وفرحتك فجريت من أمامك إلى حجرتى وجلست على المكتب وكتبت على الأوراق التى أمامى (تاريخ اليوم ١٩٨٢/٣/١٤ أحمد أمينة)

لست أدرى كم طالت جلستى عندما لمحت كتابا يمتد لى من يد ونظرت إلى اليد الممدودة كانت يدك فأخذت الكتاب بين يدى «فقه النساء»

لم أستطع الوقوف أو الكلام فقط ابتسمت لك وأخذت الكتاب فى حضنى أمامك ولأول مرة أرى عينيك ولا أى لغة فى هذا العالم تستطيع الإفصاح والكلام بالصمت كما تقول عيناك.

(عيناك تقولان نعم) آه يا أحمد ماذا جرى لى؟

ما هذا الذى أنا فيه لكنه جميل

لماذا جاء إلى والدك واخوتك؟!

قلت فى سرى ماذا يا إخوة يوسف؟

قال والدك: نحن نشكر لك اهتمامك..

وقبل أن يكمل كنت أحس من الصباح، دمى يفارقنى ويرحل؛ والأرض غير ثابتة والزلازل والبراكين زلزلت كيانى؛ وكيانى مبعثر ولكن يقينى أنى سأراك، لماذا يا سيد هذا العالم فعلت معى ما فعلت، وأنا كفلسطين كنت أنتظر تحريرى بيديك طبعا وها أنا غاضبة فى بيت أبى (كانت مدرستى فى القديس يوسف تتغنى بالمزمور رقم ٥١ وتقول هذا ممنوع وعنوانه صغيرا كنت فى بيت أبى)

وها أنا كبيرة غاضبة فى بيت أبى أنتظرك؛

كنت أحس منذ الصباح أن كيانى مهدد ومستباح وأننى مهدرة تحت العربات وعلى أسفلت الشارع ممزق لباسى وخمارى يلف ويدور ويتمزق نتفا صغيرة فى دنقل العربات الكبيرة والثقيلة، آه لماذا يا أحمد؟، ألف لماذا ولماذا والقلب قد تعبت جفونه من السهر ومن الحمى عليك، وحلمت بعد صلاة العشاء أن خيل الحكومة قد تركت الاستعراض الموسيقى وتركت الرقص وهاجمتنى وأن خمارى طار وطرح على الأرض عندما اعتلتنى الخيول وهى تصهل وتحمحم. يا جناينى الورد، الورد داسوا الخيل.

بالليل ع الأرض

والأرض السوده بقت حمرا بالطول والعرض

والغيط علمنى وفهمنى

يا جناينى الورد الورد يحب الملاغية

هذا مقطع من كلمات زكى عمر وتلحين وغناء عادل شبانه. كان أخى الذى سافر مع زوجته إلى استراليا يسمعه على الكاسيت ويتنهد حتى سافر ولم يعد بعد عدة خطابات بنفس قصير.

والحكومة كخيل الحكومة لا تفهم فى الورد ولا تفهم فى الملاغية ويكفى أن زكى عمر قد كتب هذه بعد الهزار الثقيل من الحكومة مع الطلبة وهو هزار لكائن لا تحتمل خفة دمه الثقيل جدا.

صحوت مفزوعة من نومى ووجدت خمارى أمامى كما تركته قبل أن أنام رابضا فوق ملابسى المكوية، تفلت على يسارى ثلاث مرات واستعذت بالله من الشيطان الرجيم.

لم أنم وانشغل بالى عليك يا أحمد وكانت الأيام تمر وتأخذ فى نعالها الأسابيع والأشهر ولاخبر من عندك يرد الروح حتى ظننت أنك حلم وكأنى سأخضع لهم عندما أراد زوجى مصالحتى، وضربنى الشك فى صميم قلبى وفرت دموعى وأحسست بالقهر كأنهم سيعيدوننى إلى زوجى فخرجت من المكتب مسرعة وقابلت بعض أصدقائك المقربين منك، وسألتهم عنك ولكنهم نظروا إلى فتوجست وأوجست منهم خيفة فقالت المنقبات:

خيرا إن شاء الله... الله لطيف بعباده

هل أقول لك حالى عندما عدت من عندهم؟!

أنت تعرف أنك كنت الجسر الذى امتد بينى وبين المنقبات يوم أصر عميد الكلية أن يرى واحد من الإدارة وجوههن قبل دخول لجنة الامتحان ومطابقة الصورة بالأصل وكنت المرشحة لذلك وعندما طلبت منهن ذلك أفحشن لى فى القول وقلن لى: يا متبرجة مصيرك إلى النار، إن الله برىء منك... إلى جهنم اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون، وكنت أنا أستطيع إبلاغ الإدارة بامتناعهن والإدارة تريد ذلك، ولكنى كنت قد وقعت فى حبكم وانتهى الأمر، وكنت أراكم شخصا واحدا وفتاة واحدة ولم تكن لشتائمكم معنى إلا كما يسب الصغير أمه، فأى لحية وجلباب أبيض هو أنتم، وأى نقاب هو أنتن، أنتم وما شابه. الجماعة الإسلامية. لا أعرف الجهاد من التكفير والهجرة، ولا أعرف هذا من الأمر بالمعروف ولا الفرماوية ولا أى شىء فى أى شىء ولكنى عرفت بعد ذلك، كنت أحس أنى منكم فهل تأخذونى معكم؟؟ بالقميص الكاروه والبنطالون الجينز.

كنت أحس لا فرق فقلت لكم: يا إخوانى... والله أنا أحبكم ولا أريد مشاكل معكم والإدارة متربصة بكم ولن يخس على شىء حين أبلغ الإدارة بامتناعكم وستطردون من الامتحان، هذه الإجراءات صحيحة ولا داعى للمناقشة..... وانهمرت دموعا على ضفاف الوقت الباقى من المهلة التى حددها العميد وقبل بدء الامتحان.

وسمعت صوتك يأتى من داخلى: يا أخت بارك الله فيك معك الأخوات.

سرن معى بلا كلمة وأخذتهن إلى حجرة السكرتير وقلت لهن: اخلعن النقاب واجلسن معى ربع ساعة ثم عدن إلى خيمة الامتحان وأنا معكن.

تمت العملية ببساطة شديدة وحاولت التقرب منى كاعتذار عما حدث ولكنى انفجرت دموعا وهزنى مقابلة حبى بكل هذه الشتائم كأنهن لم يدرسن طوال حياتهن الا هذه الشتائم وما خلقن إلا لينطقن بها بتلك السرعة الشديدة والعيون المتحركة من خلف الأزرق الساتر، وعادت المنقبات إلى خيمة الامتحان وانقطعت صلتى بهن ولكنك صرت طيفا يحاصرنى وأراك ولكن أرى لحيتك السوداء لكأنما لم يعرف العالم أسود كهذا وجبهتك تمنح مجال الرؤيا منها جزء

كنت وأنا أتأملك من البعيد أرى رجليك لا تلمس الأرض عند سيرك وأتأكد أنك معلق بين السماء والأرض تتحرك مع النسيم وتسرى فى الحقول والناس، لكأنك روح الحياة. لا تمشى ولكن تكون.

لماذا ظهرت فى حياتى يا أحمد؟!

عرفت يوم أعطيت إبراهيم شبكته أننى لم أكن مقتنعة به ويوم أعطيت حسن خطاباته الثلاثة أننى لم أكن أحب هذا، وكنت أقول

لزميلاتى أريد أن أتزوج زواجا تقليديا وألا أعمل وأجلس فى البيت ويأتى رجل ليخطبنى دون أن يرانى فيكمن له ابن عمى ويتشاجر معه (وأنا ليس لى ابن عم أو عم من أصله) وكنت أتخيل هذا كله وأننا بالريف ولم تكن بدلة الفرح تشغلنى خالص، وعندما كنت أسأل نفسى وكيف سأعيش معه لا أجد إجابة على هذا السؤال وأتوه وأنسى الموضوع، وعندما أسأل نفسى لماذا تزوجت هذا الرجل المسمى زوجى لا أجد أى شىء يمكن أن يعطى مبررًا واحدًا لارتباطى به إلا أنه قال لى سأترك خطيبتى من أجلك وتركها فتزوجته مكافأة له على صدقه فكذب على طول حياتى معه وعذبنى بأقسى مما تعذب الآلهة الخطاه.

(٤)

أنا على سريرى الذى أكرهه، فى بيت زوجى على الورق وأمام الناس أما أمام الله فلا ليس له حقوق عندى ولا يقربنى ولا يلمسنى، أليس هذا هو سريرى الذى افترشته امرأة غيرى جاء بها وأنا فى الشغل ورأيت شعرها ورائحتها على المخدة، والهباب الطين يلطخ الملاية!!!.

ثم عندما أشكو تقول لى كلّ امرأة ليس لها كرامة هو رجل المهم أنه يبيت عندك آخر الليل قلت لهم: جميل سأفعل مثلما يفعل ولن يمسكنى أبدًا أو يضبطنى

قالت امرأة منهن: الحرامى بحمولته؟!

لا داعى لفتح هذا الموضوع فأنا أراك تملأ المكان حولى فى الحجرة ولكنك معلق بين الأرض والسماوات تضىء لى وأنا معك أضع وسائدى الصغيرة خلف ظهرى ومخدتى على حجرى وأنظر

اليك فى الظلام وأفتح حضنى لك.. تعال يا أحمد خذنى فى حضنك وربت على ظهرى؛ أريد أن أبكى على صدرك.

وأغمضت عينى وكنت أحسك جانبى فأخذتك فى كل حضنى وأخذتنى ورددت لى روحى التى ارتعشت بين يديك فأرعشتنى بالحمى والملكوت؛ وأنت تدخل كل خلاياى وأنا مدينة استسلمت لغازيها لأنها تنتظره، وصحوت على صوت آذان الفجر ووجدت مخدتى تحتى وأنا مقلوبة على بطنى وأتفصد بالعرق وأحسك تملأنى ومبتلة بللا شديدا،

قلت لابد قبل الصلاة أن أستحم وأتطهر، ولكن من ماذا؟ من أى شيء؟، إننى هكذا أطهر من الجميع وهذا خلق الله أنا لم أرتكب إثما ولم أفعل معصية ولم أساعد نفسى لأسعدها جبرا مثيرا ولكن جاءنى ما جاءنى مكافأتى من حبيبى فلأسعد به ولأصلى لله شكرا،

وعندما قمت من مكانى كان صوت المطر يدق على الزجاج بلا رفق، موجع؛ وكنت أحس أن المطر يقطر بداخلى وأننى سماء، صليت الفجر ودعوت الله ألا ترى مكروها يغضب (واستجاب الله لى فلم تر أنت المكروه ولكن نحن رأينا فيك ما نكره) وفتحت النافذة، كانت السماء تمطر فتوقف مطرى ودعوت الله لأن الدعاء وقت المطر مستجاب ولم يكن قد بلغنى عنك شيء،

كانت كل الدعوات محفوظة بكامل سجعها وإنشائها البليغ وكنت أريدك لشيء أكبر أريدك بدعوات مخصوصة. أليس الله يعلم

خائنة الأعين وما تخفى الصدور؟ إذن أرفع يدى وأقول اللهم إنك تعرف فحقق لى رجائى وكفى.

وأحسست أننى خفيفة وأن هناك شيئًا ما يدخل جسدى ويغوص فيه وكنت أخاف أن ألمس الأشياء خوفا من أن تضىء أو تطير وأن ملابسى يتدفق منها الضوء وأن طهارتى هالة من الأخضر حولى وأننى أسير فى حراسة الملائكة، وفتحت المصحف (بسم الله الرحمن الرحيم: يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز المبين)

كنت أحس أن النور يسعى بين يدى ومن خلفى وأنا روح هائمة أكاد أراها تسبح فى حجرتى، وبدأت أحب حجرة نومى وأتوحد بها ولكنى أخاف أن ألمس الأشياء، وأكملت التلاوة ولكنى توقفت عند (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمر فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون).

سرحت كثيرا فى هذه الآية وقلت:

يا رب آن أوان الخشوع وأن تخشع قلوب الذين آمنوا وها أنا خاشعة بين يديك فلا تحرمنى من أحمد وابقه يا رب خشوعا لى.

كان صوت المطر بداخلى قد توقف وأنا مستمرة فى القراءة أنتقل من سورة إلى سورة حتى وصلت إلى سورة المجادلة (بسم

الله الرحمن الرحيم: قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله. والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)

ووجدتنى أقول صدق الله العظيم يا سلام قد سمع الله تحاوركما، الله يسمع مجادلة هذه السيدة، التى تشبه مشكلتى، الحمد لله يا رب أنك أنزلت فى حقى قرآنا.

ثم حاولت أن أتذكر أن لى زوجا وأولادا، كيف حدث هذا، أنا الصغيرة التى كنت فى بيت أبى وأنا الكبيرة التى فى بيت أبى، وأنا الغاضبة الآن من زوجى ومن الدنيا وما فيها إلا أنت يا أحمد.

وكنت أنا الصغيرة التى ما إن يرانى أحد الا قال لى يا آنسة وكم تمنيت أن يعود الزمان ويصالحنى مرة أخيرة، كثيرا ما كنت أنظر إلى أولادى وأتعجب أى صبر أتى بهم وأنا لا أحبهم إلا لأنهم كائنات صغيرة لاذنب لها إلا أننا جئنا بها إلى هذه الدنيا، كيف أصبحت زوجة لهذا الشخص الذي تركنى فى الحمل الأول وعذاباته وذهب إلى الإسكندرية فى رحلة وأنا مريضة ثم عاد بعد أيام يريد أن ينام معى ويطالبنى بحقوقه؟!

ساعتها أحسست أننى عارية ومكشوفة والعالم يتفرج على وجلست أبكى بعد أن أجبرنى على أخذ كل ما يريد، ونام يشخر بجوارى وأنا سهرانة حتى الصباح وأدعو الله أن ينهى هذه العلاقة، وطلعت علينا شمس الله فذهبت إلى عملى فاكتشفت أن اليوم يوم الجمعة!. وعدت وأنا أموت من الغيظ وذهبت إلى بيت أبى، ولكنهم

أعادونى إليه واستمرت هذه العيشة التى تجمعنا للأكل والنوم ولا كلام ولا سلام هو مع أصحابه على المقهى أو فى أى مكان وأنا مع العيال إلى أن ظهرت فى حياتى فغضبت ولا أريد العودة إليه هذه المرة ولكنهم أعادونى.

وفى اليوم الأول لعودتى وقد كان مضى على غيابك الكثير طلبت منه أن يتركنى أنام بمفردى لظروفى الخاصة فتركنى وجلست فى البلكونة حتى الصباح والنهار يسرق الليل ويأتى الفجر وتهل على قطرات الندى نقية وأحس أننى أستحم وتستحم معى وأكاد أطير وتهيأت للقفز من البلكونة وكنت أعرف أننى لن أسقط على الأرض ولكنى سأطير وأجدك هناك فى الملكوت وأنا آتية إليك مستحمة بماء السماء فأنا ابنة السماء نقية كبرد السماء تقية على يديك بعيدة عن الشقاء مع النائم والمطالب بحقه من إنسانة تكرهه، ولهذا فعيشتنا حرام وقلت له ذلك ألف مرة ولكنه يضحك وكأنه مسلوب العقل أو أن كلماتى لا تصل الى سمعه!!

- الشباك مفتوح والعيال نائمون وأنا نائم، هبل أم حنان؟

- كره، أكرههم جميعا واسمعها لآخر مرة أنا لا أحبك طلقنى

- لك أب عندما يوافق سأطلقك، كفاية هبل عايزين ننام

لم أرد فدخل وقفل البلكونة وتركنى فى العراء.

ورأيتك ظلا لم تتحدد ملامحه ولكنى أعرفك فتعال يا أحمد خذنى بين حبات المطر لأستريح، هل كنت أنتظرك لتضع على كتفى شالاً ليقينى البرد؟

أم كنت أنتظر أن تأخذنى فى حضنك فقط؟

لم أستطع الصبر وقررت القفز من البلكونة إليك إلى أعلى ولكن صوتا أتى من الداخل وأوقفنى كان ابنى ينادى على فذهبت إليه ثم عدت لأرى وجهك يسافر مع الضباب إلى بلاد الله خلق الله.

(٥)

عدت اليوم الساعة الحادية عشرة إلا ربع ودخلت المكتب

ـ (مات منذ عشرة أيام داهمته سيارة نقل من النوع الثقيل....)

لم أسمع ولا أريد أن أعرف لماذا عاد والدك إلى؟

لماذا عندما سألتهم عنك تنهد والدك وقال:

ـ البقاء لله.

ـ نعم.

ـ البقاء لله أحمد داست عليه عربة نقل ثقيلة،

ضربته بالصدفة

ـ أحمد من؟ بالصدفة؟! لماذا لم تضرب بالصدفة الذين يسرقون الناس طوال النهار لماذا لم تضرب بالصدفة طبعا المزورين والغشاشين واللصوص.

بالصدفة يا أحمد، يا مُرّى

انهرت وأنا أجهش بالبكاء وشهيقى متقطع فأخذونى إلى حجرة المنقبات، وأخذوا فى تهدئتى ثم أفقت قليلا وكانت صورتك تملأ المكان وهمست إحداهن: الصبر إنه فى الجنة مع الشهداء والأبرار، هذا اختبار الله لنا فى هذه الدنيا، هيا جددى وضوءك وصلى لله وترحمى عليه. قمت من مكانى وأرشدتنى إلى دورة المياه وجدت وضوئى وعدت وصليت ما شاء الله وكنت أقرأ القرآن وما أعرفه أو ما يأتى على بالى من الأحاديث،

كان وجهك يفرش المكان ويبتسم وأنا دموعى تسح من عينى وكنت على يقين بأننى لو خرجت إلى الشارع فإننى سألقاك.

ـ وحدى الله

لا إله إلا الله

هل أنت قريبته؟

ـ نعم يا ست الكل يا مؤمنة؟... أنا ست متزوجة وعندى زوج مثل الجبل شحط لا تكفيه عشرة نساء من أمثالك، وعندى أولاد وبنات، يا منقبة أنا أبكى شبابه الضائع والمغدور به، لم أقف خلف الأزرق الغامق بوجه مختفى وقلب جامد لأقول الصبر الصبر يا أختاه، صبر إيه يا ماما؟!!

ـ أستغفر الله العظيم، لابد أن يكون إيمانك قويا ثم إن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم علمنا كيف يكون الحزن عندما مات ولده إبراهيم........

ـ اسمعى أنا فاهمه كلامك كويس

ـ يا أختاه هو فوق الاتهام ولكن ظننتك قريبته

ـ كلنا أولاد حوا وآدم

ـ اليهود والكفار ولاد حوا وآدم

ـ متشكرين أنا من اليهود والكفار.

ـ أنت سطحية فى التفكير والقضية...

زعقت فيها وقلت: قضية؟! ثم من أنت؟!

ـ أنا شقيقة مها التى كانت تكلمك من فترة وهى التى أحضرتك إلى هنا، واسمى أم هاشم موظفة زميلتك، ومها فى رابعة طب وإن شاء الله تتخصص نسا حتى نحافظ على عورات المسلمات.

ـ يا سلام!!! يعنى الست التى تتكشف على امرأة غريبة أفضل من التى تتكشف على رجل غريب؟ لأ يا أم هاشم سعادتك إن شاء الله إذا جاءت لك واحدة تلد فلابد أن تطلبى من زوجها دليلا أنه والد الطفل، يا شيخة حرام عليك.

ونترت نفسى منهم وقمت إلى مكتبى.

لا أعرف أيضا لماذا تذكرت فى هذه الحالة خطيبة الشاب الذى كان فى مستشفى غسيل الكلية وكانت خطيبته تلم حاجياته وتبكى.

كنا نعرف أنه سيموت خلال أربعة أسابيع ولكن، نعرف أيضا أن الله قادر ولطيف بعباده. تركت الإبر والسرنجات والملابس وأخذت دفترا صغيرا وكراسة والدبلة وسورة يس والمعوذتين وكان الدفتر مكتوبا عليه (ربى لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه)

وتسلم الصيدلى العلاج الذى معى وكنت قد جمعت من كل المؤسسات ورجال الخير والمسافرين خارج البلاد وبعض المعارف مبالغ من المال لشراء أدوية ومستلزمات من أجل مرضى الفشل الكلوى وكذلك دار الأيتام وكنت أشغل نفسى بهما بعيدًا عن البيت بعد أن طالت غيبتك.

كان المرضى كفراخ الشيطة غير مركزين فى أى شىء وبعض الأحيان يكونون ثقيلى الظل ويتشبثون بك عاطفيا وأنت لا تستطيع أن تجاريهم ولا تستطيع أن تمتنع عن هذا العمل وفى كثير من الأحيان كنت آخذ المبالغ المخصصة للعلاج وأساعد بها زميلة تريد أن تتزوج كذلك كنت أدفعها لطلاب لا يجدون ثمن المذكرات أو المدينة الجامعية ستطردهم لأنهم لم يسددوا الشهرية وتكون هذه الفلوس مدفوعة للعلاج وكنت أحس أن من حقى التصرف فى هذه النقود كما أريد، وأضع عليها من نقودى وأعتبر هذا التصرف

من حقى كذلك كنت فى أول الأمر أضع فلوس زكاة المال لوحدها وفلوس زكاة رمضان لوحدها وزكاة الزروع وما إلى ذلك ولكنى خلطت الأمور مع بعضها وأصبح المال فى نظرى مال الله ويذهب إلى عيال الله فأى ذنوب فى هذا التصرف؟

عندما دخلت عليهم قلت لهم

ـ السلام عليكم.. أنا جئت فى ميعادى

لم يرد أحد منهم ونظروا إلى سرير فتحى فنظرت ناحيته

ـ أين فتحى؟

ودخلت خطيبته التى رأيتها من باب العنبر تلم حاجياته

ـ البقية فى حياتك يا أبله فى فتحى

لم أرد فأنا أعرف ومن عدم مفاجأتى اكتشفوا خيانتى وتمثيلى عليهم بعدم المعرفة.

وعندما التفت ناحية سرير عبدالستار ولم أجده تذكرت أننى لم أره وكان يسبقنى بالموسيقى التى يحدثها بصوته وسألت بوهن شديد.

ـ وعبدالستار؟

ـ مع فتحى

صرخت من خلال قلبى الموجوع على أولادى: يا مُرّى

والتم العنبر كله حولى وأنا فى وسط دموعى ما عدت قادرة على الكتمان كنت أبكيك وأبكى حظى ونفسى وأولادى والزمن والكلّ والكليلة.

كانت زميلتى قد ذهبت إلى عنبر آخر وعندما رجعت ووجدتنى بهذه الحالة أخذتنى من يدى إلى خارج المستشفى وركبنا التاكسى إلى بيتها.

وكانت إدارة المستشفى قد أخذت منى الأظرف مكتوبا لكل واحد فى العنبر اسمه والمبلغ الذى له والعلاج والتاريخ واليوم والساعة؛

وكنا قسمنا المستشفى إلى فرق أ، ب، ج، د،... لكى نعطى بالترتيب وكان التقسيم حسب الحالات وخطورتها، وكانت النقود التى تأتى لى من الكويت كثيرة وشهرية فقد اتفق معى بعد أن حدث ما حدث ولم أكن سافرت وقتها إلى فرنسا أن نكفر عن كل ما فعلناه وأنه سيرسل لى نقودا منه ومن زملائه توزع على فقراء المسلمين وأعطانى حرية التصرف فى كل شىء.

كانت الحياة صعبة جدا بعد رحيلك وعودتى إلى هذا الوكر الذى أعيش فيه وكنت أخرج هائمة على وجهى لا أدرى أين أنا وفى إحدى المرات وجدتنى داخل شقة!!!! والله أنا لا أكذب عليك يا أحمد وتنبهت فوجدتنى بكامل ملابسى فى صالة على كنبة أنتريه وأمامى مكتبة ضخمة وصور على الحائط والمكان مريح والإضاءة

خافتة، فزعت فلمس كتفى شىء التفت وجدت رجلا يصعب تحديد سنه وهمس لى أن أصمت ثم جلس أمامى وقال لى اسمى جمال شفيق المصرى وهذه شقتى وأنا لست من هنا ولكن لى عمل هنا فعملت هذه الشقة استراحة لى فى الأيام التى أحضر فيها إلى هنا وسعادتك وقفت أثناء سيرك فجأة أمام السيارة وتفاديتك بصعوبة فأغمِىَ عليك فتعهدت أمام الناس أن آخذك الى المستشفى ولكن وجدت أن فى هذا إهانة لك فأحضرتك إلى هنا ووضعت لك كولونيا لتساعدك على الخروج من الإغماء وأرجو أن تستريحى خالص ثم قام وأحضر لى كوبا كبيرا من اللبن وتركه أمامى وقال لى: أنا فى الحجرة الداخلية إذا احتجتى شيئًا نادى على ووضع ظرفا على الكنبة بجوارى وقال: أرجو أن تقبلى هذا.

خرج من الحجرة وأنا فى شبه ذهول وتركت كل شىء ولم أشرب اللبن وخرجت دون أن أقول له أى شىء وبعد أن خرجت من العمارة رفعت رأسى عاليا كان يبص على عند خروجى وأشار الى باى.. باى ولم أشر اليه.

ثم لقينى بعد ذلك بالصدفة فى وسط البلد وكان كريما معى وقابلنى بعد ذلك الساعة الثامنة صباحا أمام عملى وكان يريد دخول المستشفى لأنه لم يجد أحدا من الخدمة الليلية وهو يشكو من مغص حاد ولما كان المستشفى بجوار عملى فقد قمت معه بالواجب وذهبت معه إلى بيته ونام ولم يحس بشىء فلم أتركه

وظللت معه حتى استراح وكانت الساعة قد قاربت الخامسة مساء وعندما أردت الخروج قال: لك أمانة من المرة السابقة، وحاول القيام من السرير ولكنه كاد يسقط فجريت إليه وتلقيته على صدرى وأنمته على السرير فسقطنا فوق بعضنا...

وبعد ذلك قمت ولبست ملابسى بسرعة وبحثت عن حقيبتى وعندما هممت بالخروج قال لى: لو سمحتى

قلت له: أرجوك لا تتكلم ودعنى أسير ويكفى ما حدث.

لم يقل شيئًا، ولكنى عدت إليه ثانية وثالثة ووجدت فيه متعتى فقد كان يلتهم كل أجزائى بجنون وبمتعة تساوى الحياة، وسافر إلى الكويت وبدأ فى إرسال شيكات منه ومن المصريين المقيمين بالكويت لتوزع فى سبيل الله سواء كانت زكاة مال أو زكاة محاصيل أو زكاة رمضان وكما قلت لك فقد كنت أوزعها على معاهد العلم للعاجزين عن التعليم ماليًا، وكذلك على المرضى بالفشل الكلوى والسرطان والأطفال اللقطاء.

- وقد كنت أظن أننى سأتعاطف مع اللقطاء ولكننى لم أتعاطف معهم أبدا وبدا لى إجرام أمهاتهم وآبائهم والذنوب الكبيرة التى ارتكبوها؛ لست أدرى بأى قلب ملىء بالإثم والفجور وعدم المسئولية تم ارتكاب هذه الجرائم ولكن أولا وأخيرا نقول هذا الكلام الفارغ: ما ذنب هؤلاء الصغار؟!

(٦)

عدت إلى البيت وأنا فى حالة من الذعر بسبب فقد فتحى وزميله بعنبر الكلى وتذكرى لك طوال الوقت فأنت الغائب الحاضر وأتذكرك كلما تمر جنازة وأبكيك فهل كان ضروريا أن يحضر والدك وشقيقك ليعلمانى أنك استشهدت تحت عجلات سيارة نقل كبيرة (بالصدفة)!!!

هل كان ضروريا أن أجن وأتقدم لبعثة باريس وأنا التى لا أعرف حرفا واحدًا من الفرنسية؟؟!!!

لماذا يا أحمد لم تكن تأتى على بالى وأنا مع جمال فى متعتى معه؟!

لماذا لم أكن أحس أن ما أفعله ذنبا؟!

هل تعرف لماذا؟

أنا أعرف لماذا، أولا: لأننى وهذا المخلوق الذى معى لا نتلامس وإذا فرضت الضرورة فأترك نفسى له وانتهى الأمر ربما يكون نوعًا من دفع الإيجار عينيًا

ثانياً: لأننى لا أعتدى على مملكة إنسانة أخرى وإن وجدت، لأنه وأنا لم نختر هذه اللحظة ولذلك التعارف فما ذنبنا؟

ثالثًا: ربما لأننى كنت محتاجة إلى انسان يملأ كيانى،

فما بالك إذا كان رقيق المعاملة سمحا فياضا بالعذوبة والاحترام، حتى لو كان هذا ذنبا فأنا لم أدعُ عليه ودعوت له وكنت دائمًا أتذكركما وأنا فى باريس.

(٧)

لم تكن الدنيا غريبة

ولا السلم ترك البيت ونزل يلعب فى الشارع

ولا باب الشقة جاء إلى على الشغل ليسألنى عن البيت

فلماذا عندما دق جرس الباب ونادانى إبنى: ماما واحدة صاحبتك

ـ معقول أم هاشم؟!

يا ريت كانت الدنيا انقلبت على رأسها وسارت تخرف كان هذا سيكون معقولاً جدًا جدًا ولكن أن تزورنى أم هاشم؟!

اقتحمتنى ودخلت الشقة: السلام عليكم اللهم صلى على النبى بسم الله الرحمن الرحيم،. قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد

ـ تفضلى يا أم هاشم، حاسد إذا حسد إيه لو العالم كله حسدنى لن أكون أسوأ من ذلك، شاى؟!

لا شاى ولا غيره، فقط نتدارس فى كتاب الله ولا داعى للتكلفة.

ـ تكلفة، الشاى تكلفة؟ يعنى ح نشحت يا أم هاشم علشان كباية شاى؟!

لا أبدًا والله أنا أحبك وما جئت لك إلا لأنى أعرف أن عنصرك النقى قابل لرفعة الإسلام وقلت خير ما نتكلم فيه تدارس كتاب الله، ولكن أرجوكى ضعى إيشاربًا على رأسك لأن عندك ولدًا صغيرًا فلابد أن يعتاد عليك باللباس الإسلامى.، أحضرت الشاى ووضعت شعرى فى الإيشارب وتوضأت، جلسنا وبدأت بالطهارة والغسل وحقوق الزوجة على زوجها وحقوق الزوج على زوجته، واستمرت أم هاشم فى زياراتها المفاجئة لى والتى دائما ما أكون فى البيت وكنت لم أبدأ بعد دروس اللغة الفرنسية، كنت زهقانة من أم هاشم جدًا ولكن للحقيقة أحببتها.

وفى إحدى المرات شكوت لها شكوى بسيطة من المحروس زوجى، فإذا فى المرة التالية تأتى أم هاشم ومعها شىء كالجبل وقفت أمامه عندما فتحت الباب وقالت: وسعى الطريق زوجى معى أين زوجك؟

وسعت الطريق وأدخلت الجبل زوجها إلى حجرة الصالون وذهبت إلى زوجى فى حجرة النوم وقد كان نائما وأيقظته ورجوته

أن يتكلم مع زوج صاحبتى بالراحة، وكنت أعرف أن هذا يوم لن ينساه خلق الله وما سيحدث لى سيظل فى ذاكرة الأجيال لسنوات طويلة.

قام زوجى ودخل إلى حجرة الصالون ورحب بالرجل وطلب الشاى ثم علبة السجائر ثم قهوته السادة وبدأ الصوت يعلو قليلاً، وكنت جالسة مع أم هاشم بنصف أذن والأذن والنص الباقية على باب حجرة الصالون، وبدأ صوت الرجل يعلو ولكن كان صوت زوجى حاسمًا قائلا: من قال لك أننا كفرة؟ ثم إذا كان النسوان مع بعض يشتكون أحوالهم فلا داعى لكى تتعب نفسك وقبل كل هذا تعلم أن تكلم الناس بكلام محترم.

ثم فتح الباب ونادى زوجى: أمينة..... أمينة (نعم ووقفت على الباب) ولكن قال زوجى ادخلى.

وتعلقت أم هاشم فى ثوبى: لا تدخلى يا أمينة زوجى رجل غريب عنك.

ورد زوجى: غريب؟! ما غريب إلا الشيطان،. كان المفروض أولادكم كمان كانوا يحضروا لهداية أولادنا، تعالى يا أمينة، زوجك كافر وأنت تستعينين بالأستاذ لهدايتى إلى طريق الله، وكتر خيرهم جاءوا للتدخل ويكسبوا فينا ثواب.

- أبدا أصل الموضوع

وهنا قفزت أم هاشم: يا أستاذ المسلم مرآة أخيه المسلم.

قال زوجى بسخريته المريرة: تشكرى يا أم هاشم يا ستى علمى الأستاذ الكلام، حرام تسبيه كده على خلق الله، والراجل بهذا الشكل خطر.

وخرج زوجى من الحجرة وأخذ يكلم أم هاشم بينما هى تدارى نفسها وزوجى يتمادى فى إحراجها.

فجأة زعق زوجها: هذا لا يرضى الله

وبدأ زوجى قذائفه التى لا تخطئ أهدافها أبدا قائلا:

- يا سيدنا الشيخ أنا أشك أنك متأجر علينا أو أحد من الناس وزك علينا، يا سيدى إنت مثلا معاك توكيل للكلام باسم الله على الأرض ثم أين الدعـــوة باللين وأين ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، هل سمعت قول الله لرسوله، وبما رحمة من الله لنت لهم، يا رجل يا بركة يا مسلم كيف تسول لك نفسك الأمارة بالسوء أن تذهب إلى بيوت الناس دون استئذان ألم تعرف يا مولانا أن الغرب الجاهل قد اخترع لنا المسرة التى هى فى قول بعض العلمانيين التليفون، اخترعها الغرب الجاهل ليستعملها التيوس والمشايخ واللوطيون فى عالمنا العاشر ويدفعون ثمنها ثروات بلادهم وكرامتهم إن كانت لهم كرامة وإذلال شعوبهم يابا الشيخ المعتبر، فلماذا لم تستعمل المسرة إذن حتى نفرش الأرض لك جرجيرا، ربما الكلام فيها حرام إذا كان الأمر كذلك فقل لى بالله

عليك ما حكمة إعطاء الكتابيين وأهل الذمة صدقات من بيت المال؟.. وبالمرة يا سيدنا قبل أن تخرج من هنا أسأل أسيادك، ما موقف عمرو بن العاص من الآباء المسيحيين والرهبان والقساوسة ولماذا إلى الآن يحبه الرهبان وكافة المسيحيين فى مصر واسمع يا مولاهم.....

ولكن أم هاشم وزوجها غادرا بأسرع ما يمكن وأشعل زوجى سيجارة ودخل دورة المياه ثم خرج ونظر إلىّ طويلاً ثم انفجر ضاحكًا وكنت أعلم وأنتظر الضرب ثم دخل إلى المطبخ وعمل لنفسه قهوة ولبس ملابسه وكان يشرب القهوة أثناء ارتداء ملابسه ثم نظر لى وللأولاد: رجل كالفيل والله أنا حبيت نسيبى خالص لأنه لو غشنا فى العفش كان كرسى الصالون كسر بهذا الجبل الذى عليه ولكن صعب علىّ وهو يجرى مذعورًا كالفأر، عادى (ونظر ناحيتى) أى خدمات من بره؟!

خرج ولم أكن أعرف إلى أين يذهب ولكنه ذهب إلى أبى وأمى وحكى لهما الحكاية كما يحلو له، حتى أن أبى لم يقبل منى كلاما، ولا أى مناقشة فى هذا الموضوع.

أمَا أمى فقد أدلت بأحاديثها للجارات والخالات والعمات بأن البنت عندها لطف وتشك فى زوجها وتحضر له المشايخ وأصبحت مجنونة فى نظر الناس وزوجى مسكين وصابر على مكتوبه.

أما أم هاشم فلا شىء خالص بيننا فى الشغل كأن شيئًا لم يحدث مطلقًا، ولم أسألها كيف عرفت العنوان، ولكن عندما أخبرت نعمة صاحبتى بما حدث، جاءت فى اليوم الثانى وجلست بجوار أم هاشم وما هى إلا دقائق حتى كان صوت نعمة يملأ المكان.

اذا كان أصحاب البيت لم يطلبوا منك ذلك، فلماذا حشر نفسك فى كل شىء، حتى يوم المنقبات كانت هناك خارج المكتب وقالت لنا أمينة مغمى عليها، يا شيخة عيب والله العظيم يا مؤمنة خلى عندك شوية من الأحمر.

- أنا أفعل ما يمليه على ضميرى

وتدخلت فى الموضوع لأن علاقتى بأم هاشم لم تتقطع أبدا ولكنها أصابها الشلل والتوقف عند هذا القدر من النمو وقد حدد زوجى علاقتى بزوجها وبها ولكن هى زميلتى بالمكتب.

اتخذت علاقتى بأم هاشم لها مجرى كالماء المتساقط على الصخر فمع الأيام يحفر له مجرى ويستمر ولكن هذا المجرى يتسع ويتعمق حسب قدرة ثقل وكثافة الماء الجارى، وكان هذا نتيجة من نتائج معرفتك يا أحمد.

إلى الآن أنا غير مصدقة أنك لا قدر الله.. مت

صعب نطق هذه الكلمة

صعب جدا تخيل العالم بدونك

صعب صعب جدا

هل لك قبر فأزوره أم أسكنك قلبى وتظل حيا يا أحمد أرجوك لا تغضب منى فأنا بشر لى أخطائى وصوابى كنت أود أن أعرف اسم أمك وما شكلها هل هى مثلك؟

هل كنت خاطبا أو تحب وما شكلها؟؟

يا أخى تعال فى الحلم ورد على هذه الأسئلة.

(٨)

مـا هذا الذى ينجلى أمـامى فى غـرفـة نومى منذ طفولتى وهو حبيبى عندمـا أريد أن ألعب مـعـه أقفل باب الحـجـرة بـالترباس ثم أفتح الـدولاب وألعب مـعه، ثم صـرت بعد ذلك أشكو لـه وآخذ رأيه فى كل ما أفعل فلماذا غاب عنى كثيرا وعاد الآن؟

أذكر وأنا صـغيرة عندما كنت أغضب من أخى أو أمـى كنت أفتح ضلفة الدولاب وأجلس تحت الفسـاتين المعلقة وأكلم نفسى، ولكن بعد فتـرة كبـرت وصـار الدولاب ضـيـقـا، فكنت أقفل بـاب الحـجـرة وأفتح ضلفـة الـدولاب فـأجـد بداخله رجـلا جـمـيـلا فنلعب مـعـا وأحادثه ويحـادثنى، ثم بدأ من يخـرج من الدولاب ويتودد إلى ولكن لم أكن ألمسه أبدا ويدى تضرب فى الفراغ ولا تصل إليه.

وفى أول مـرة أخـرج إلى لقـاء غـرامى مع شقـيق صـديقـتى كنت أحس أن العالم كله يرانى وأننى خفيفة ومرحة وخائفة وسعيدة.

وكنت أغنى مع صوت عبدالحليم الذى ينطلق من صدرى بحلم بيك، أنا بحلم بيك

وبأشواقى مستنيك

وان مسألتش فى يبقى كفاية عليا

عشت ليالى هنيه بحلم بيك

أنا بحلم بيك

ترى تررم تررم يا حبيبى تم ترى رم تررم

قد ما عمرى يطول يا حبيبى تم تر لم يا حبيبى تم ترالم... يا سلام كانت أيام

لم أستطع انتظاره وأحسست أننى أتصبب عرقا فذهبت إلى أخته ولم أنتظره وعندما عاد نظر إلىّ فنظرت إلى الأرض، وخرجت أخته لتحضر الشاى فقال هامسا:

انتظرتك فى الميعاد

قلت له بخوف شديد: لا أستطيع

اقترب منى وأمسك بيدى فوقفت فأخذنى فى حضنه وقبلنى فى وجهى قبلات كثيرة وأنا أرتعش ولا أقاوم انتفاضات جسمى فجلست أبكى صامتة فخرج من الحجرة وعندما عادت أخته دهشت.

- خيرا يا أمينة؟

- خير؛ أنا بعد إذنك

أمسكت بى من يدى وقالت: والله لا يمكن هل حدث شىء من أخى؟

- لا لا... لا لا. لأ

وخرجت من عندها مسرعة إلى البيت وبسرعة إلى الدولاب وأقفلت باب الحجرة وناديته:.......... (ولم أر شيئا)

وجلست ساهمة فوجدته تحت الفستان البنفسجى يبتسم قلت له: مبسوط طبعا؟ ماذا أفعل؟ أخذنى فى حضنه غصب عنى وأنا لم أكن أريد ذلك

هل أصرخ وأحتج وأملأ الدنيا فضايح ولا أدعه يلمسنى وتصبح بعدها سيرتى على كل لسان؟ أم أصمت وأنت ترى ما حدث نتيجة الصمت

وطبعا أنا لا أحب هذا ولو كنت أحبه لا نتظرته ولا أحب من يضع يده على جسمى، هذا الشخص الثانى الذى قبلنى رغم أنفى فى حياتى وأنت لا تفعل شيئًا، هل أنا مخطئة؟

وهز رأسه من أعلى إلى أسفل (نعم)

يا سلام!!

هل كنت أصرخ وأفضح نفسى يا خويا؟

هز رأسه بنعم

صـرخت فـيـه: مـاذا كنت أفـعل؟ هل لا أذهب إليـه هز رأسـه بالموافقة (نعم)

يا أخى إفهم كنت أريد أصدقاء، أنا أحتاج إلى صديق أتكلم معه ويخرج معى فكل واحد فى بيتنا مشغول عن الآخر تماما؛

لماذا تهز رأسك فى كل اتجاه أنا لا أكذب عليك.... وبعدين ... سأقفل الدولاب والله العظيم

مـا الذى حـدث لك؟...... هل جننت؟! هل جننت مـاذا تريد بالضبط غلبت منك هه هه.

وأقفلت باب الدولاب ونمت على الأرض.

(٩)

لو لم تكن هناك إلا هذه المرة لكفت، فى حوالى الساعة الخامسة مساء وهو وقت ميت أخذت العيال وذهبت إلى بيت ماما لأن والدى كان مسافرا إلى العمرة، وتركته بالبيت يراجع ميزانية الربع الأول من العام المالى وكان مستغرقا فى أوراقه لدرجة أنه فوجئ عندما وجدنى آخذ العيال وأقول له: أنا عند ماما، ولكن شيئًا ما همس فى خاطرى ودق ناقوس الخطر فارتعشت ولعنت الوسواس الخناس،

ولم أجد أمى فى البيت وقالوا لى أنها عند خالتى تسكن فى المجمع الجديد بعيدا جدا عنا فذهبت إلى جارتنا وجلست معها قليلا (يمكن ماما تيجى)

وزهقت من القعدة وعدت إلى البيت، وعندما لمحت البيت من بعيد أحسست أن شيئًا ما غير طبيعى فى البيت فتركت العيال على

الأرض بالشارع وصعدت السلم قفزا وبهدوء الأموات فتحت الباب، ولكن الباب كان مقفلا بالترباس، وكدت أكسر الباب ففتح الباب فقلت له وأنا أرتعش: لماذا أقفلت الباب بالترباس؟

. أبدا

كان صوته مرتجفا وخائفًا وخائرًا هذا هو صوت الأموات، تلال من الكراهية وضعت بينى وبينه، أقفلت الباب ودخلت وفتحت شباك الصالون والصالة وجلست بالصالة محاصرة المكان وقلت له: الأولاد بالشارع... هاتهم

لم يرد ودق جرس الباب وكانت جارتنا ومعها العيال فشكرتها ودعوتها للدخول ولكن انصرفت، كنت أحس أن هناك شيئًا فى حجرة الأطفال ولكنى غير قادرة على مواجهته وأتمنى أن أكون خاطئة فى ظنى وقررت أن أدخل الحجرة مهما حدث، فى نفس اللحظة وضع يده على كتفى وقال لى: عايزك فى كلمتين.

وسحبنى أنا والأولاد إلى الحجرة الداخلية وما إن دخلناها إلا وسمعت صوت الباب يقفل بهدوء فالتفت إليه وضربته على صدره صارخه: آه............ يا ابن الكلب فى بيتى يا كلب. ولكنه دفعنى جانبا وقال: ست قليلة التربية.. أنت مجنونة قسما بالله العظيم اذا لم ترجعى عن الجنان الذى فى رأسك فسأمسح بك البلاط؛ الغيرة لا تكن هكذا يا ست الكل سلامو عليكم.

وخرج وأنا ألعق جراحى.

ذهبت إلى بيت أبى ولم أتكلم، ومرت ثلاثة أيام ولم

يحضر وعندما قال أبى

- خير يا أمينة؟

حكيت له الحكاية من البداية إلى النهاية.

صمت كثيرا ثم قال: والحل؟

- الطلاق

- الأولاد؟

- لا علاقة لى بهم كنت فى هذه الحالة أتذكر كل ما مر بى معه عندما سافرت معه إلى ليبيا بالطريق البرى وكنا قد كتبنا الكتاب، وسافرت معه ثانى يوم من الفجر ولم أتذوق الطعام ونمت فى اتوبيس إلى الإسكندرية نمت؛ وصحوت فوجدته يأكل بيديه معا وأقفلت عينى ونمت وعندما توقف الأتوبيس فى الحدود (البوابة)

ثم أصبحنا فى الأرض الليبية ونزل الركاب لقضاء الحاجة وذهب هو وكنا لم نتبادل كلمة منذ الصباح وأريد أن أذهب إلى الحمام كما أننى جائعة تماما، وأخذ معه لفة الطعام وعاد بدونها.

وكان كل رجل يساعد زوجته وأولاده فى النزول من الأتوبيس والذهاب معهم عند دورات المياه، ويشترى لهم كل ما يحتاجونه ويهون عليهم الطريق، قلت له هامسة:

أريد الذهاب إلى الحمام

قال لى: سيرى مع الناس وعند عودتك لا توقظينى!!

قلت له: لا تنم حتى أعود ونأكل معا

قال: الأكل باظ ورميته فى الطريق

صمت حزينة وعندما حاولت فتح حقيبة لإخراج صابونة وفوطة زعق: بلاش مشاكل، كل الناس هناك عندهم صابون وفوط.

قلت له منتحرة: لا يمكن سآخذ الصابونة والفوطة وكل ما أريد أو آخذ حقيبتى وأعود فورا إلى مصر.

ذهل ولم يتكلم وأخذت كل حقيبتى ونزلت من الأتوبيس وعلى الأرض فتحتها على آخرها وأخرجت فوطة وصابونة وفوط صغيرة ولباس وقميص وسنتيانة، وأثناء أخذ هذه الأشياء وجدت لفة سندوتشات كانت أمى قد جهزتها لى فأخذتها وفتحتها حتى يراها ثم أخذت هذه الأشياء معى وتركت الحقيبة مفتوحة أمامه وسرت إلى الحمامات وقلت فى سرى (الجواب الزفت يبان من عنوانه)

بكيت كثيرا فى الحمام واستحممت وغيرت ملابسى وتركت الغيار والفوطة والصابونة فى الحمام وأكلت السندوتشات بعدما خرجت والباقى كان فى يدى وعندما اقتربت منه أعطيت باقى السندوتشات إلى الأولاد الذين تجمعوا حول الأتوبيس وكان سيموت من الغيظ وتركته وصعدت إلى السيارة وكان هو قد وضع الحقيبة

فى السيارة وعندما سألنى عن ملابسى والفوطة والصابونة قلت له بصوت عال: إنت مالك؟ هذه أشيائى اشتريتها وأنا حرة فيها، رميتهم بالشارع ماذا يخصك فى هذا الموضوع بالضبط؟!

وكان صوتى قد بدا عاليا جدا والتفت الناس على صوتى فصمت فأكملت: ثم إن الأكل لم يتلف ولكنك أكلته وحدك وهذا أكل أمى.

قال بصوت مهزوز: وجدتك نائمة وقلت النوم أحسن ووضع وجهه فى حجره ونام.

فى ليبيا كان قد استأجر لنا حوشا كبيرا ووضعنا الحقائب وعندما جلست أرتب الحقائب وكنا الواحدة صباح اليوم التالى وكان الأربعاء تركنى ونام وجلست أرتب البيت وأنظفه وأرهقت ولم أشعر إلا عصر اليوم التالى ووجدتنى عارية ونقط دم على فوطة بجوارى ولم أتكلم لكن كرهته كراهة الخوف والذبح والفضيحة.

استحممت وسرحت شعرى وانا جائعة تماما، فسمعت طرقا على الباب قلت: ربما هو فتحت الباب.

- صباح الخير يا العروسة خذى أمى تقول مبروك

- شكرا لك

كانت فتاة صغيرة تحمل صنية أكل ثقيلة بالنسبة لسنها وأخذت الصنية ودخلت وخرجت فلم أجد الفتاة؛ قفلت الباب وعدت،

كشفت الصينية كانت مليئة بأطباق الحلوى واللحم والثريد والكسكسى.، وانتظرت عودته حتى العاشرة مساء فلم يعد فأكلت وتركت له نصيبه ونمت، وكنت أحس بأن كل لقمة أكلتها بعيدا عنه وبدونه أنها حرام.

صحوت على دوران المفتاح فى القفل

- من؟

- ازيك يا عروسة؟

بكيت فنظر إلى الطعام وقال من أرسل هذه قلت:

لا أعرف

نظر إلى الصينية وقال: هذا بيت الصمودى

ثم تناول قطعة ووضعها فى فمه وجلس بجوارى وأخذ يتحسسنى فقمت من جانبه وقلت له: تتركنى فى البيت بدون طعام أو شراب يومين

قال: كل يوم ولمدة شهر سوف تصلك صنية أكل من الجيران هذا طبعهم ثم إن البيت به معلبات وشاى وسكر وكل شىء وأنا معزوم طوال هذا الشهر مع أصدقائى، وهنا ممنوع الاختلاط.

قلت فى نفسى: كل شىء صعب فى أوله وغدا يحلها ربنا من عنده.

سحبنى إلى سافنجة النوم الأرضى، والحقيقة أننى حاولت إعاقة كل مجهوداته ولكنه صمم وصمد وهزمنى فتلفظت بألفاظ دالة على حسن الصنع فابتهج وقبلنى ونام وصار شهرا على هذه الوتيرة وترسب الكره والأكل والجنس والفراغ ممتزجا فى داخلى وقررت أن أكون شيئًا فاقتربت من عالمه ولم نسافر مصر لخمسة أعوام وعملنا فى الأعمال الحرة من خلال إدخال تليفزيونات للبيع فى مصر ثم تقاضى ثمنها هنا مع أخذ الفرق من هناك وهلم جرا......

وعاد إلى فى يوم وأخبرنى أن ليبيا ستصادر كل فلوس باسم رجل أو سيدة لا تعمل ولن تحول نقودا إلا للعاملين بها بعقود، وبالتالى استولى على كل رصيدى وكان الله يحب المحسنين.

وعدت إليه بعد عام ونصف فى بيت أبى وكذبنى لدرجة أن أمى إلى الآن تصدق أننى تهيأ لى ما قلته لهم أمام الناس وعدنا لنعيش من أجل الأولاد وأنا أحس أننا نعيش ونمشى وسط الناس بمؤخرات عارية تماما، وقذرة.

(١٠)

عندما عدت إلى البيت وتذكرت ما قالته أم هاشم وكنت قد أقفلت باب حجرتى وجلست بملابسى على السرير.

- هو زنا بالتأكيد

- يا أم هاشم أنا أسألك لتفتحى لى باب الأمل

- باب الأمل فى التوبة إلى الله توبة نصوحة وهى للذين يعملون السوء بجهالة، مش بترتبى مواعيد فى التليفون ولقاءات وأنت لست صغيرة وبإمكانك عدم الذهاب إلى هناك إذن فأنت تذهبين بمحض إرادتك وكامل رغبتك وشروط التوبة::

أولا: الإقرار بالذنب والندم على ما فات

ثانيا: رد الحقوق إلى أصحابها إن أمكن

ثالثا: عدم الرجوع إلى هذا الذنب أبدا

ـ مفهوم، ولكن هل أنا أجبرت جمال على أى شىء؟

يا أمينة أنا لا أخدعك ولكن أنت تخدعين نفسك وأعطيتى ضميرك أجازة، وهذا زنا ولابد من التوقف فورا وقطع علاقتك بكل هؤلاء الناس واتركى الأطفال والمرضى يموتون، من خلقهم سيرزقهم ويشفيهم وخليك على قد بيتك، وتذكرى (ليتها لم تزن ولم تتصدق).

طبعا كانت أم هاشم قد حولت حياتى إلى جحيم، وجعلتها زفت وقطران وهباب لا أول له ولا آخر وتحت هذا التأثير استحممت ولبست قميصا أسود اللون مفتوحًا من الظهروعندما عاد زوجى كاد يجن وكانت ليلة اكتشفت فيها رقته وتركته يفعل كل ما يريد ولكن كنت أراه دائما أم هاشم، وتسبب لى هذا فى تأخير مواعيدى فى الصباح، وظللت تحت هذه الحالة من تعذيب النفس لا أرد على تليفونات جمال ولا أكلم أى واحد حتى أن المسيو ألفرد المسجل بالدورة لاحظ ذلك فتقدم منا.

ـ ممكن اسمح حاجة أمينة

ـ نعم؟

ـ كيف الحال مشغول حاجة أمينة؟

ـ الحمد لله

ـ يعنى كويس كتير؟ أو هل يوجد مشكلات أزمات؟

- الحمد لله

- الحمد لله تانى الحمد لله كويس، اسمع حاجة أمينة أنت روح باريس بعدين سعودية واعمل حاجة أمينة كويس؟

- ربنا يسمع منك إن شاء الله

- نعم ربنا اسمع حاجة أمينة مزبوت ربنا اسمع شكرا

معنى هذا أن السهر قد وضح على، وكانت أم هاشم هى السبب الأول والأخير فى هذه الورطة التى أنا فيها وهى امرأة قدت من صخر ولا تعرف الرحمة، وإن كان زوجى ظل يتنمر لى ويلوح بأنه يريد كل ليالينا ان تكون مثل يوم القميص الأسود وكان بودى أن أقول له رب ضارة نافعة هذا كله من أثر أم هاشم.

صحيح يا أحمد أريد أن أسألك لماذا لا أتذكر هذا الموضوع نهائيًا بعد أن ينتهى وعندما أحاول أن أتذكر التفاصيل أتذكر أشياء بسيطة أما الباقى فيضيع وأتوه ولا أذكره سواء كان مع زوجى أو مع جمال أو غيرهما؟

طبعا أنا سألت واحدا من الجماعة بتوع علم النفس قال لى: أنت تحاولين إلغاء ضميرك ويقيم قطيعة معرفية مع هذه العلاقة، صحيح أنا مش فاهمه لكن متهيأ لى أنه يقصد بكلامه قلة أدب؟

لأن فيه واحد تانى منهم برضه قال: استمتعى بحياتك وحاولى توفيق أوضاعك مع زوجك أو ابحثى عن الطلاق.

والله يا أحمد أنا فى حيرة شديدة وأكاد أسمعك فى كل لحظة ولك صوت مثل صوت أية الله أم هاشم أنتما تقولان: هذا زنا.

أراك تبتسم، خلاص يعنى كلكم على صواب وأنا الخاطئة شكرا يسى أحمد.

انتبهت أننى مازلت بملابسى فوق السرير بحجرة النوم وعندما قمت وفتحت الباب وجدت الأولاد يلعبون وقالوا فى نفس واحد: ماما!! انت هنا؟؟ فاكرينك عند تيته.

فحضنتهم وبكيت وقلت فى نفسى: ملعون أبو الرجال والذل.

(١١)

باريس باريس...... باريس

كان هذا هو الكلام الذى أعرفه عن فرنسا باريس المدينة التى لا تنام

مدينة المتاحف والثقافة والموضة، ويمكنك أن تفعل فيها كل ماتحب وتكره، وكانت الجامعة قد أعلنت عن بعثة فى تنظيم المكتبات لخريجى قسم المكتبات ولكن العدد لم يكتمل ففتح الباب لخريجى المدارس الفرنسية وأقسام اللغة بكلية الآداب فتقدمت ولكن كان على أن أجتاز اختبارًا فى اللغة لمستويات متقدمة وأرسلت إليه بالكويت فقال لى

اذهبى إلى المركز الثقافى الفرنسى بالمنيرة بالقاهرة وتم تحديد المستوى وابتدأت الدراسة بتفرغ ثلاثة أيام من العمل وكنت أقوم الساعة الرابعة أحضر الفطار للجميع وأصلى الفجر وأفطر

وأشرب الشاى وأركب قطار السادسة وخمس دقائق إلى القاهرة ثم ألى المركز الفرنسى وأستمر بالدراسة فى فصلين مختلفين حتى السادسة مساء فاعود بقطار الثامنة وأصلى ما فاتنى وأحضر طعام اليوم التالى وعشاء اليوم ثم أراجع مع الهدفون الدروس وأحفظ الكلمات بالقطار، وفى المنزل كان دائم التريقة: ياولد يا طه خلى بالك من باغى (باريس) ولا تشرب الأصفرة وتعلم كالشيخ رفاعة ولا تفسد يا طه.

ولم أكن أتكلم وكنت أضحك وأزداد إصرارا.

اجتزت امتحان اللغة بنجاح هائل وتقدمت إلى الدورة التى بعدها فأجلت الجامعة البعثة ولكنى لم أهتم وكأن هذا التعب ما كنت أبحث عنه وألغت الجامعة التفرغ وصار سفرى بعد الظهر ولكن غير مهم لأنه قد فتننى فى هذه القاهرة أنه فى يوم بينما كنت أسير فى شارع أمين سامى بجوار وزارة التربية أن لحقت بى إحدى مدرساتى بالمركز وتحاورت معى فى علاقة النقاب الذى أرتديه بالسفر إلى فرنسا ورأى الدين فى المرأة......، وهنا تذكرت الأخت أم هاشم والدروس التى أعطتها لى طوال الفترات السابقة وكيفية النظافة وستر العورة والجماع وآداب الحديث والمائدة وأذكار الصباح والمساء وحسن معاملة الزوجة لزوجها وواجباتها وحقوقها وكنت أقول وأشرح وأنا أتمنى هذا الشريك المثالى غير المخالف، ونظمت لى محاضرة دينية بقاعة بالمركز ثم انتقلنا إلى

مكان آخر وازداد عدد الصديقات الأجنبيات وأهملت عملى فكنت أختم الكارتة فى الصباح ثم أسافر فى قطار الثامنة والنصف صباحا، كانت أيام جميلة خالص، أحسست بذاتى ففتنت بالقاهرة.

وبلا سابق إنذار طلبت الجامعة من جميع المتقدمين للبعثة التقدم لامتحان اللغة بالمركز الثقافى الفرنسى وكنت أول المتقدمين وسافرت إلى فرنسا، طبعا ستقول لى لا تضحكى على واحكى من الأول وبالتفصيل الممل «هل كان من الممكن أن تقول هذا يا أحمد؟!، كيف أتخيل هذا وأنا لم أحادثك الا كلمتين لا غير؟ اسمع الحكاية من البداية»

كانت الأمور بيننا قد وصلت إلى طريق مسدود جدا بدأت تجهيز أوراقى بدأت المشاكل فى الظهور ولم يوافق على السفر زوجى وأمى وأبى ووافق خالى وجزء منى بالكويت، وهدد زوجى بالطلاق وقلت لهم قبلت الطلاق ويأكل أولاده ولا أريد منه لا كثير ولا قليل واستمر مسلسل تجهيز الأوراق والخناق والإصرار وانتقلت للعيش عند احدى صديقاتى وكنت أذهب إلى شقة (الكويت) أجلس مع نفسى بعيدا عن الناس وقالت أمى: هذه ليست أمينة ابنتى، ابنتى لا تقول إلا حاضر ونعم.

صرخت فيها: كفاية لقد ماتت أمينة المطيعة.. أريد مرة واحدة أن أقول لا، أن أقرر شيئًا فى حياتى أن أكون صاحبة قرارى وأتحمل نتيجته.

قال خالى: حاضر طلباتك

- الطلاق

- حاضر.

مبسوطة.

بعد مشاكل عديدة وافق زوجى على السفر رغم محاولات أمى من دفع زوجى لعدم الموافقة ثم إعلانها عدم مسئوليتها عن الأطفال، ولكن كنت قد قررت السفر حتى لو فعلوا ما فعلوا وأكثر، وظل زوجى فى الشقة بينما الأطفال عند أمى وأنا ما يهمنى فى الشقة فليستعملها كما يشاء؛ كان كل ما يهمنى أن أسافر أسافر أسافر.

....

لم تكن تهمنى الدراسة أو البعثة أو الفرجة على بلاد الفرنجة أو ربما أكون صاحبة تلخيص الإبريز فى السفر إلى باريس ولكن كان يهمنى النجاة بجلدى ونفسى من هذه الفوضى والعذاب الذى أنا فيه.

كان حلمى أن أهجر الأرض التى أذلتنى وكسرت أنفى ليس لذنب ارتكبته ولكن لتصديقى لكل الناس وأنا أعرف نواياهم، هل هناك بعد ذلك طهارة؟!

وأحسست بثقل الأيام القليلة التى قبل السفر وكانت كلماتى مع الجميع قليلة ومع زوجى نادرة؛ وكان اليوم الأخير طويلاً جدا.

حولى زوجى وأمى وأبى مشغول بتوفير دولارات لتكون معى و(الكويت) أرسل لى الدولارات والفرنكات وزيادة ولم أخبر أحدا بذلك؛ كانوا يجهزون لى حقيبة كبيرة جدا بها الملابس الشتوية وزوجى يكتب لى كشفا طويلا بما يجب أن أشتريه له ولإخوته البنات والرجال!!

وتركتهم يكتبون ويفعلون ما يريدون وليس على لسانى إلا حاضر، وبعد أن نام الجميع سحبت الحقيبة الكبيرة واختصرت الملابس الخاصة بى إلى النصف ووضعت الباقى مع كشف الهدايا فى حقيبة أخرى ووضعت المصحف فى حقيبة يدى وتوضأت وصليت ركعتين لله وقرأت (والشمس وضحاها) ثم (الواقعة ويس وتبارك والغاشية (سبع مرات) وصليت ركعتين وقرأت (المعوذتين) ونمت.

حرصت من عشرة أيام أن أنام لوحدى فى بيت أبى، وفى الصباح صليت الصبح وشربت الشاى باللبن وقرأت سورة (يوسف) وهى سورتك كلما قرأتها أراك ولم تكن تفارق خيالى لحظة واحدة.

وجاء ميكروباص الجامعة ونزلت من البيت بعد أن تركت لهم جسدى لآخر مرة يقبلون ويودعون وسلمت عليهم ووضع عمى عوض الحقيبة فى الميكروباص؛ ولم أكن أبكى أبدا ولم أحاول

البحث عن الدموع، وتعجبت من أن زميلاتى كن يبكين؛ وأخرجت المصحف وقرأت (يوسف ومريم وقصار السور) ثم بعد ذلك بدأت بالاستغفار والتسبيح.

ووصل الميكروباص إلى مطار القاهرة الدولى صالة رقم ١ ومن باب ٦ وركبت بجوار النافذة، والحقيقة أن مطار القاهرة ليس فيه شيء واحد يذكرك بمصر هذه التى فى خاطرى وفى فمى والله أنت يا أحمد الذى فى خاطرى وفى فمى وقلبى؛ وأقلعت الطائرة ورأيت القاهرة علبًا من الكرتون وسخة جدا ونهر النيل يلمع كسمكة أخرجوها من نهرها وهى تتلوى ولامن يرحمها وتذكرت العذاب والهوان الذى قاسيت على هذه الأرض التى تظللها السماء التى بجوارى وصوت أمى يصرخ.

ماعنديش بنات تطلق؛ أنت تؤلفين حكايات وتشكين فى زوجك، وظالمة وتكفرين بالعشير.

تذكرت شعرها الأصفر وهو على وسادتى؛ وأمى تمسحه وتقول هذا شعرك أنت أو شعر بنتك؛ وعندما أخرجت لها المناديل الورقية من تحت السرير نطرت يدى بعيدا وقالت: بلاش قرف وجنان وهبل.

انهمرت دموعى وأنا بالطائرة وقلت: سامحكم الله إن كنتم تستحقون ذلك. هذه أرض عذبتنى وارتضت بعذابى وأنا راحلة عنها ولا أريدها.

لماذا عندما كانت أمى تكلمنى زمان كان صوتها يشرخ قلبى والآن لا أسمعه وكأنها تتكلم بلا صوت؟!

صوت أمى يتعالى وأنا أعلو وأسمو وأغرق فى لجة هائلة من الندم ولست أدرى على أى شىء ولكنه مغلف بحزن جميل جدا وناعم وكاتم للصوت كملمس القطيفة.

عينى فى ضباب الليل الأسود المحاصر بالشبورة تحيط بضوء شاحب ونباتات برية من بذور الشياطين وأنا أسير وحيدة فى ليل سواده خاص بى والبذور تمتص بخار الماء وتستدق أشواكها وتعلو وتتدبب، ودروب ملتوية كثيرة أقل شحوبا وأكثر انخفاضا من السابقة تنزل مندلقة فى وجع ناحية الضوء وربما مجموعات ونساء قدماء المصريين تبكى وتنوح فى سواد جلاليبهن حولى بصوت يخرج منغما يذكرنى بصلاة التهجد والصلاة على النبى ﷺ وصوت الترجيع فى دلائل الخيرات والإنشاد البديع ورائحة القرفة والشاى بالقرنفل والمقرئ الشيخ السيد كل هذا يتدفق حولى وأنا بلا حول ولا طول!

أتقلب بين أيدى أشباح كثيرة وهالات من الفزع تأخذنى فى ظلام الحزن نحو أولادى وطيف سيدة عارية يجرى فى المرآة وعن محاولة اللحاق بها أجد أمى وزوجى يمسكان بى ويصيحان مجنونة!

ماذا أقول نجوت منك لما خفتكم وكان الله واسعا عليما.

(١٢)

باريس باريس باريس

صدقونى لا أعرف إلى الآن ما هى باريس وماسر هذه الهوسة التى يتشدق بها الناس؟!

وصلت الطائرة حسب قول المذيعة إلى مدينة النور والثقافة، ونظرت من كوة الطائرة، ليل مزروع بعيون تتألق بالفرح بألوان العيد أو كما يقول جمال كأن عمدة باريس سيزوج ابنه فوضع بطائرة ما عقود النور على سماء باريس لكن (هل لا يوجد فى باريس فى مكان ما امرأة مظلومة مثلى؟) ماذا وراءك يا ليل باريس.

هبطت الطائرة وفككنا الأحزمة ووقفنا فى الممر إلى الباب وقلت فى نفسى ياريت أجد أحمد أمامى وكان جمال قد أخبرنى أنه سيقابلنى فى فرنسا ولكن على أن أرسل له العنوان بالفاكس إلى الكويت.

ركبنا الباص إلى مكتب الجوازات الذى نظر فى أول جواز وقال: مرسليا، يتوجهون إلى طائرات الخدمة الداخلية رحلة خاصة موصى عليها تابعة لليونسكو.

وطبعا كانت هذه المعلومة الجديدة لها فائدة عندما طالبنا بإعطائنا خطابات بهذا المفهوم للجامعة لصرف بدل السفر ولكن المسئول قال سيصرف بدل السفر من باريس من مكتب اليونسكو وبدل سفر الجامعة من الجامعة وكانت هذه المعلومة قد عرفتنا أشياء ولكن قاسينا كل الأشياء بعد عودتنا، عدنا إلى الباص الذى كان المرافق قد جمع الجوازات وعاد بها مختومة وركبنا طائرة صغيرة ولكنها أكثر راحة وشربت شايا وماء مثلجا مع البسكويت وتركت باقى الوجبة وكان الظلام قد سيطر تماما على ليل باريس وكنا تركنا ليل باريس منذ فترة طويلة وهبطت بنا الطائرة فى ضياء رصين ومن الطائرة إلى الباص إلى السكن وكان فى مدينة جامعية لإسكان الطلبة ولم أفعل أى شىء سوى أن ألتف فى البطاطين وأنام فقد كانت الساعة الثانية عشرة ليلا وتذكرت صوت إذاعة القاهرة (منتصف الليل بالقاهرة)

كان اليوم التالى هو يوم التسجيل واستخراج البطاقات التدريبية وتعليق بطاقة التعارف على الصدر ومعرفة مكان الدراسة ومكان الإقامة وعناوين البريد والبنك ومكاتب التلكس وأماكن التليفون ولكن لم أعرف معنى كلمة الصدمة الحضارية إلا فى الصباح،

المدينة شبه خالية من الناس ومن تراه فهو مسرع جدا ولا يلتفت ولن يسمح لك أن تعطله لحظة وكل شىء حولك لا تحتاج إلى سؤال أحد من الناس فالأسهم الإشارية واضحة، وعربات كارو ونصف نقل تعبر المدينة محملة بالخضراوات والفاكهة فلابد أن آخرها كما يفضى إلى البحر يفضى إلى الريف.

وعرفنا مكان التدريب وكانت المحاضرة الأولى رسم تخطيطى للمكتبة التى تعمل بها واقتراح تطوير لها ويقوم كل طالب بعرض الرسم والمناقشة وعملت اللغة عملها البديع فالانحراف كان يحول المعنى من طريق إلى طريق آخر وبعد أسبوع أرسلت فكسا (هل الفاكس ممنوع من الصرف؟ لقد صرفته لأنه يصرف لنا أمورنا) إلى جمال بالكويت لكن والله العظيم كنت أكلمه وصورتك أمامى لدرجة أننى عندما رأيته فى مطعم المدينة لم أصدق عينى وكدت أسأله كيف عرفت العنوان.

وعندما سألنى ضاحكا: مفاجأة؟ هل كنت تنتظرين أحدا غيرى؟!

قلت له: نعم

وأحس كل منا الصدق فى صوت صاحبه ولكنا التمسنا العذر لبعضنا حتى لا نتلف بهجة اللقاء الذى دفع فيه جمال المال الكثير، وفجأة التفت جمال وترك يدى وقال: سأراك بالليل لنتفرج على المدينة.

وأخبرته أن دراستى تنتهى فى الخامسة مساء.

جاءنى جمال فى اليوم التالى فى السادسة وسأل حارس المبنى وأخبره أنه يريد طلبة الزقازيق فجاء الحارس وأخبر الجميع لدرجة أننا اعتقدنا أنه ترفيه من البعثة وكذلك أخبر مبنى الرجال واجتمعنا عشرة من الرجال والنساء وعرفنا جمال بنفسه إنه أحد المصريين المقيمين بالكويت وفى زيارة إلى مرسليا فسمع بوجودنا فقرر عزومتنا اليوم على العشاء على حسابه، وكانت ليلة جميلة لم يكلمنى فيها جمال كلمة واحدة وفى آخر الليل ودعنا جميعا وغاب يومين ثم قابلنى بعد انتهاء المحاضرات وسألنى إن كنت أحتاج إلى نقود وعندما قلت له: شكراقال لى: أراك بخير سأرسل لك خطابا على الزقازيق بعد انتهاء البعثة وأسافر بعد يومين سأقضيهما بباريس.

جن جنونى وزعقت فيه: ماذا تريدنى أن أفعل؟!

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا حضرت كل هذه المسافة وصرف كل هذه الأموال؟!

قال بهدوء: لأراك.... هل عندك إجابة أخرى؟

قلت بصراخ: نعم.... ولكن ما باليد حيلة.

قال: ما هى هذه الإجابة؟

قلت بشجاعة: لنقضى وقتا جميلاً معا.

قال: وقد حدث..... قضينا معك ومع كل الأصدقاء وقتا جميلا.

قلت له بانكسار: على كيفك، واستدرت عائدة معاندة ولما لم ينده على التفت فوجدته قد مشى.

قلت فى نفسى: مش مهم طز.

ولكنى بكيت هذه الليلة كما لم أبك فى حياتى وتذكرت خيانة زوجى؛ ولم أر جمال إلا بعد ثمانى سنوات.

واستمرت الدراسة الجميلة ثمانية أشهر وكنت أتذكرك طيفا جميلا وأشتاق بجنون إلى جمال ولا أتذكر زوجى أو أمى أو أولادى ولكن أتذكر أبى، وعندما يشتد بى الحنين أتذكره وهو بين الملابس فى حجرة نومى وأقول له: هل تصدق؟ أنا فى باريس ألم أقل لك مرارا أننى مظلومة ولم تصدقنى أبدا؟ صدقت الآن؟ ربك مع الغلبان والمنكسر يا حبيبى، خليك كده قاعد تحت الهدوم.

ومن يوم أن قلت له هذا الكلام لم يظهر أبدا، ولكن يا أحمد فى إحدى المرات قال لى أحد الأشخاص فى القصر العينى وكنت قد تعبت جدا وأقرب مستشفى إلى المركز الثقافى الفرنسى بالمنيرة هو القصر العينى قال: تعرفى من هذا؟

وكان يشير إلى شخص مكبل بالحديد مع العسكرى الحارس ضمن مجموعة من المكبلين بالحديد مع حراسهم.

قلت له: لا.

قال: محمد الجنوبى المسئول عن عملية الهروب الكبير من الملحقة.

قلت له: قل كل شىء بهدوء وبالتفصيل الممل ربما يكون أحمد معهم.

قال: أحمد من؟

قلت: ولدى الذى ضاع منى ولكن سيعود يوما ما وأنا أنتظره بين لحظة وأخرى.

قال: إرهابى؟

- ....

قال: كانوا قد حبسوا فى السجن فى زنازين متر فى متر ليس بها شباك واحد ولا تعرف فيها أمامك من خلفك وليس بها مخرج أو فتحة إلا الباب وثقب على شكل دائرة ومحددة بالأسياخ وهى زنازين التأديب وهى دور واحد ويحرسها عسكرى يسير فوقها من السطح وأمامه شاويش وعسكر وضابط ولا خروج ولا دخول بالأشهر، المهم فى مرة خرجوا فسحة شمس فلمح محمد حديدة بجوار سور حجرة التأديب الكبيرة وتحرك بسرعة وعقل وحملها وكانت أجنة «هل تعرفين الأجنة يا حاجة» (أشرت له برأسى نعم) ودخلوا الزنازين وبدأ حفر السقف أثناء تبديل النوباتجية.

- كيف؟

ـ مثلا يتم تبديل النوباتجية فى الساعة الثامنة مساء فالعسكرى المستلم النوباتجية ينادى على زميله الذى سيستلم منه ابتداء من الساعة السابعة والنصف وعادة يترك موقعه ويذهب ليستعجله والآخر يتلكأ ليضيع ربع ساعة من النوباتجية ويظل العسكريان يتجادلان ويتمازحان حتى الثامنة والربع يعنى ثلاث أرباع الساعة المساجين داخل الزنازين بلا متابعة فى تلك الأثناء يكون أخونا بشير ومحمد وصفوت قد حفروا كثيرا فى سقف الزنزانة.

ـ وأين الضابط والشاويش؟

عادة يذهب الضابط للفرجة على برامج التلفزيون أو يزوغ أو ينام أولا يأتى لأنه بمنتهى الصراحة يخاف من الإرهابيين؛ ويقول للشاويش خللى بالك من النوباتجية كل واحد فى ميعاده سأتابعكم وأفاجئكم، وطبعا كلهم فاهمين حتى العساكر أنه لن يفاجئ ولن يتابع فبالتالى يفعل الجاويش ما فعله الضابط ولأن الشاويش لا يستغنى عن نفسه فهو يقول للعساكر (خلى بالك أى واحد من دول لو خرج يدبحنا ويعملوا اللى عايزينه فى البلد، دا سجن خايخ ونظامه واقع ومستتى واحد يقوله بخ ويقع بلاش نكون احنا الضحايا ويسلت نفسه كسلت اللباس من الوسط ويترك العسكرى الغلبان علشان كده لما طلع أخونا محمد من الفتحة من السقف العسكرى رمى له السلاح ونط من فوق السطح أخذ محمد السلاح وأخرج زملاءه من الفتحة التى اتسعت جدا ثم جرى بالسلاح داخل

الممر بين الزنازين فخاف الضباط والعساكر وظنوا هجوما من خارج السجن فألقى كل منهم سلاحه وأخذ منهم المفاتيح وهو بمفرده ثم فتح لزملائه وحملوا السلاح وركبوا عربة السجن بعد أن أعطوا المأمور درسا بليغا وذهبوا إلى شقة زميل لهم مسافر إلى السعودية، ولم تعثر كل قوات الأمن عليهم.

- وكيف عاد

- عاد زميلهم ليلا من السعودية وعرف الخبر وفرح جدا وفى الصباح قام ليجهز الفطار لهم وخرج لشراء الخبز فقابله مخبر الناحية لأنهم فى شبرا ولو تقدمت زينهم فلن تتقدم شبرا (باتجاه المدينة) وستظل ريفا.

وقال له متى حضرت؟ تعال معى كلمتين (هناك)، ولأن صاحبنا يعرف (هناك) كويس فحاول التخلص من المخبر ولكن المخبر أصر وأخذه إلى (هناك) وبمجرد دخوله هناك قال: والله رجعت من السفر لقيتهم بالشقة.

سبحان الله عينك لا ترى إلا النور إيه الشجاعة والإقدام والمصفحات والأر، بى. جى، والقنابل وهجم الأشاوس ستة ظباط ماتوا وهرب محمد ومعه أربعة ومات خمسة وقبضوا على الباقى، وبعد شهر تم القبض على محمد من أمام كلية الهندسة.

وما علاقتك بهم؟

- أنا الهارب رقم تسعة وأعرفك من الكلية أيام كنت بها بالزقازيق.

وعندما حاولت تأمله اختفى وسط المستشفى وتركنى حائرة.

هل أنت تفعل هذا يا أحمد؟ نفسى أعرف.

هل أنت أيها العذب الرقيق تحمل السلاح وتذبح أعداءك؟

والله أزعل منك خالص يا أحمد.

الحياة جميلة ولا تتحمل كل هذا الموت والقتل ولكنها تتحمل وتتجمل للحب، يا سلام يا أحمد لو كنت معى فى باريس ليس هناك أجمل من العيش كما تحب وبسلام.

يا دين الله العظيم:

هل يمكن أن تكون قتلا ودمارا؟

هل يمكن أن أظل محرومة من أحمد وجمال وأعيش مع هذا الشىء الكريه المسمى زوجى؟

هل يمكن أن يأتى اليوم الذى نملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا

يا ربنا يا حبيبى يا خالق الليل والنهار والذكر والأنثى والعصافير الجميلة لماذا خلقت القتل والهجر والحرمان والغباء والخوف من كلام الناس؟

لماذا وضعت السلاح فى يد أحمد ورفاقه؟

ووضعت زوجى فى طريقى؟

ووضعت أم هاشم القاسية فى رفقتى لتقول لى بالفم المليان أنت زانية لا تضحكى على نفسك؟

لماذا لا تكون الزهور الجميلة جميلة فى ساعات الحزن؟ يا أحمد أنا أحبك ولا أريدك هكذا، وأنا لا استكثرك على خالقك ولكن لماذا تركت روحك التى خلقها الله ومنع هدم صنعته أن تتركها فى أيدى من لا يفهم ولا يعقل ويحس بالقوة كلما زادت النجوم على كتفيه.

وطبعا من يجلس فوق الكرسى يكشر فى الناس كعنترة، هذا إذا كان محترما ولكنه فى كل الحالات يرتد إلى الحالة الحيوانية من حب سفك الدم والتمتع برؤية الفريسة وهى تئن، وإلا قل لى ما هو تفسيرك للتعذيب، وهل من ينتحر تحت هذا التعذيب يكون منتحرا أم يكون شهيدا؟

يا رب أنت خالق الإنسان وتعرف مدى قوة تحمله، فلماذا خلقت ناسًا بكل هذه القسوة؟

فقط أريد أن أعرف أين تكمن هذه القسوة فى الإنسان وأين تكون عندما يقبل أطفاله أو ينام مع زوجته؟

وكيف تخرج منه ساعات القتل والكذب والاستعباد؟

هل يمكن أن تجيبنى على هذه الأسئلة يا أحمد؟

طبعا ستبقى الإجابات مؤجلة وأنت مؤجل ولكنك فى فكرى، والله.

كنت أفكر ماذا لو تركت تلك الأرض التى ظلمت فيها والتى قتلت أنت عليها وجئنا إلى باريس وعشنا سويا وتركنا لهم كل شىء؟!

فهمت من حواراتى مع أم هاشم أنها قضيتك! وهى أن تقيم شرع الله، ولكن هل يقام بالقتل؟ يمكن أن يقام بالحب، فماذا لو أن لى حرية ترك هذا الزوج الذى لا أريده وأتزوج من أحب؟

لم تكن علاقتى بك وبجمال وآخرين خطيئة فأنا لم أسع إلى واحدة من كل هذه العلاقات ولكن قدر ومكتوب على الجبين، ولا تقل لى كما قالت أم هاشم أننى أبرر أخطائى وأن ما أفعله غير إنسانى وهو فى أحسن الأحوال زنا.

لا يمكن هل أنا زانية؟

وهو أليس كذلك ولكنه برضاه ودون إحساس بالمهانة مثلى، لقد كنت أفكر بأكثر من شخص وأنا مع أى واحد منهم كنت أفكر بك وبه وبجمال ولكن لم أفكر فى زوجى أبدا.

عدت من باريس ولم أحضر أى شىء إلا زجاجات البرفان والملابس الداخلية التى اشتراها لى جمال من مارسليا ولم أستعملها لأنه لا وقت ولا مكان.

فى مطار القاهرة وجدتهم فى انتظارى رغم أننى لم أبلغهم بميعاد وصولى ولكن زميلاتى أرسلوا إلى أهلهم فسأل أبى وعرف وحضروا، وبعد السلامات لم يجدوا شيئاً بالحقائب، فأخذ زوجى ملابسى الداخلية الجديدة والبرفان وقال سأعطيهم للبنات شقيقاتى لأنه لا يمكن أن أقول لهم أن زوجتى عادت دون أن تحضر أى شىء من باريس، وقبل أن أعترض أخذهم وخرج، وظللت ببيت أمى أسبوعين ولم أحب أن أرجع إلى شقتى، عدت بعدها إلى الشقة فوجدت العنكبوت والتراب فأخذت فى تنظيف الشقة ورن جرس التليفون وكان جمال صرخت: ارجع بسرعة أنا غلطانه.

قال: أنا نازل يوم الأحد علشان الخطوبة وكتب الكتاب الخميس والسفر يوم الأحد الذى بعده.

انشق قلبى وقلت بسرعة وخوف: لمن؟

قال فرحى.

قالها بسعادة، ولم أرد.

- ألو.

- مبروك.

- المفروض تفرحى لى.

- يا ابن الكلب، يا قليل الأصل.

ورميت التليفون وظللت أبكى وأحسست بالإرهاق فنمت على السرير بملاءته القذرة فأحسست بشىء على وجهى قمت فزعة وجدت شعرة صفراء طويلة على المخدة أخذت أصرخ وأرمى الفراش على الأرض.

- يا ولاد الكلب كل الرجال كلاب، ليه يا ربى خلقتنى بنتا؟

وجلست فوق الفرش الملقى على الأرض وصحوت على قبلات زوجى فى وجهى ونظر إلى ثم أخذ يخلع ملابسه فتركته يفعل ما يريد ولم يعد أمامى الا أنت أفكر فيك دائماً.

صلاح والى

الزقازيق ٢٠/ ١٢/ ١٩٩٧

نفــوس جميلة وذنــوب جميلة

د. مجــدى تــوفيق

أتوقع أنك لن ترضى عن عنوان هذه الرواية «ذنوب جميلة».

لا أتوقع أنك تشبه شخصية أم هاشم، أو زوجها، فى تشددها الذى أوقد لأمينة - الراوية فى هذه الرواية - نار الضمير حين أطلقت فى وجهها العبارة الحادة: «أنت زانية» ولكنك لا تحتاج إلى أن تشبه أم هاشم، أو زوجها حتى تضيق بعنوان الرواية؛ فالمسلم العادى البسيط فى بلادنا لا يتخيل بسهولة أن نصف الذنوب بالجمال، فالمعتاد أن نصف الذنوب بالقبح.

هون عليك فإن الفن يستطيع أن يدهشنا، لأنه يستطيع أن يرى ما لا تراه عيوننا فى يسر أوبساطة.

يستطيع الفن أن يدرك أن الذنوب جميعًا جميلة.

إن لم تكن جميلة فلماذا نقترفها وربما ندمنها؟!.

غواية الذنب وفتنته ترجع إلى ما فيه من جمال.

ونحن عادة نصفها بالقبح لأننا نتجاوز جمالها، وما فيها من متعة، لندرك آثارها البعيدة الخطرة على حياة الناس.

والفارق بين الفن الوعظى، والفن الذى يريد أن يقرأ فى الإنسان روحه وصنوف المعاناة التى يتقلب فيها، قد يصح أنه يتحدد فى أن الفن الوعظى لا يرى من الذنوب إلا قبحها الذى تشعر به الضمائر المتطهرة، فى حين يرى الفن الإنسانى فى ضعف الإنسان، وسقوطه فى هوة الخطيئة ألوانا من المعاناة الإنسانية، ودرجات عميقة من جمال الروح.

لقد كان الفيلسوف شوبنهور يرى أن مصدر الشعور بالجميل فينا، فمصدره هو الذات التى تشعر بالانسجام الجميل حين تدرك الصور رؤية لا تخضع للإرادة.

ولما كانت هذه الرؤية لا تخضع للإرادة فهى ليست رؤية أخلاقية بالمعنى الذى يحرص عليه الوعاظ حين يلزمون الفن بأن يرشد الناس إلى الخلق القويم، وإن تكن رؤية أخلاقية بالمعنى الذى يرى أن الرؤية الاستطيقية، فى جوهرها، فعل أخلاقى، يبصرنا بجوهر معاناة البشر التى يخطئون تحت تأثيرها.

ولقد كان اليونانيون قديمًا يعتقدون أن جوهر التراجيديا ينبع من سقطة البطل (= الهمارتيا)، لا من استقامته على جادة الصواب.

وكان شوبنهور يرى أن الشعر التراجيدى يظهر الألم الإنسانى الناشئ من تعارض الطباع والأخلاق معًا.

ويمكننا أن نتعاون الآن على قراءة رواية «ذنوب جميلة» قراءة تتأمل فى راويتها - أمينة - الألم الإنسانى العميق الذى ينشأ من التعارض بين بحثها عن الحرية، والحب، والحنان، والصدق، واضطرارها إلى أن تذنب ذنوبًا تخفف بها شعورها ببشاعة الضياع الإنسانى.

لقد بدأت أمينة سردها لتاريخها مع الألم قائلة: «كان يظن أننى طوبة ليست لى أى مشاعر». منطلق السرد كله إدراكها أن شريك حياتها لا يمنحها شعورًا إنسانيًا صادقًا، ولا يرى فيها إنسانًا حى الشعور،. والحجر أصدق تشبيه فى نفى الإنسانية.

قد تضيق بكلمة «طوبة» وتشمر بأنها عامية.

وقد تقول إن الرواية ليست مروية بضمير الغائب العليم بكل شىء، بل بضمير المرأة المتكلمة التى يختلط عندها الحكى، بالتأملات، بالمناجاة، فى مونولوج سردى طويل، من الطبيعى فيه أن تسبق إلى لسانها مفردات عامية من لغة الحياة اليومية.

وهذا صحيح.

ولكنى أود أن أضيف أن السرد بضمير المتكلم، والحرص على تدفق المونولوج الذاتى، أمران مردودان إلى محاولة الرواية أن

تتلمس واقع الشعور الإنسانى، تلمسًا يزيدنا إحساسًا به أن تفلت بين الوقت والآخر كلمات من العامية، وأن يظل بناء الجملة على الدوام فى بساطة الجملة العامية التى نقولها فى أحاديثنا اليومية، من السهل فى أحيان كثيرة، أن نقرأ الجملة الفصيحة كأنها عامية، بشىء من التخفف من جرس الإعراب.

وربما تكون البداية فى مسيرة ذنوب أمينة المرات التى كان فيها شاب يتقدم إلى أبيها يطلب الزواج منها، فتمتنع عن الدخول لرؤيته. قالت أمينة:

«ولست أدرى من أين كانت تجيئنى تلك السعادة وأنا أمتنع (= عن الدخول لرؤية العريس) وإن كنت أتجهم بعد ذلك طوال اليوم ثم يصبح ما حدث مادة للحديث بينى وبين صديقاتى وكنت سعيدة جدًا بتعجبهن مما أفعل وأحس بأننى مميزة عنهن.»

إذا كان فى يدك قلم كالذى فى يدى الآن، ستمد يدك بالقلم لتدس فى الفقرة فصلات، ونقاطًا، وتنظم قراءتها بعلامات الترقيم.

ولكن غيبة علامات الترقيم، أو التخفف منها، علامة على تدفق مونولوج أمينة، واسترسالها فى الحديث المباشر إليك، أيها القارئ، كأنك تجلس إليها، أو كأنك أحمد الذى تناجيه طويلاً فى الرواية.

وسيسترعى انتباهك السعادة التى تصفها أمينة.

ولن يغيب عن فطنتك التجهم الذى سيدوم معها طوال اليوم.

أمينة متناقضة المشاعر، تغمرها السعادة وتغمرها الجهامة فى وقت واحد. وما بال تناقض المشاعر هذا يشبه تناقض اللغة بين الفصحى والعامية. ما باله يشبه تناقض سلوكها بين التدين الشديد والذنوب الكبيرة. التناقض بين موقفها هنا وهى ترفض الزواج التقليدى، وموقفها فى موضع آخر من تداعيات روايتها لتاريخها مع الألم حيث تمنت لو تزوجت زواجًا تقليديًا من رجل لا تعرفه ولا يعرفها ويتعارفان ليلة بنائه بها. (= تعلمنا الفصحى أن الزواج بناء لا هدم).

تحاول أمينة أن تجد تفسيرًا لسعادتها فقالت: «وكنت سعيدة جدًا بتعجبهن مما أفعل وأحس بأننى مميزة عنهن».

يحتاج التميز إلى قراءة جديدة.

إنه الآن ليس علامة تفوق، بل هو علامة الشعور بأن منبع الأزمة فى الذات. تلك التى انتفت إنسانيتها عند الآخرين، وتشيأت، وصارت «طوبة ليست لها أى مشاعر، منذ السطر الأول فى مونولوج أمينة الطويل.

ولما كانت الذات (= أعنى أمينة) لا تستطيع أن تحقق إنسانيتها من خلال فعل الاختيار - حسبما يقول الوجوديون، لأن الآخرين قد حددوا لها مسارات حياتها، وأرسوا قواعدها، فإن الحل الوحيد أمامها أن تحقق ذاتها بمخالفة القواعد.

والمجتمع يطلق على هذا الخيار أسماء: الذنب، والخطيئة، والانحراف.

من ثم ستصير الذنوب جميلة بقدر ما هى الباب الوحيد المتاح لذات مقهورة حتى تحقق ذاتها، وتنجز حريتها، ويكتسب وجودها معنى.

قد يبدو هذا التفسير مسرفًا على نفسه فى الافتراض والاقتراح، ولكننا سنجد دليلاً عليه فى طريقة الأم فى استقبال موقف ابنتها حين تمتنع عن الدخول للقاء العريس، فهى تطلق صيحات الخجل، والشعور بالفضيحة والعار.

لقد كان عصيان أمينة، ورفضها الزواج - قبل الوقوع فى أسر زوج كريه - سلوكًا مستهجنًا يعادل عارًا، أو فضيحة، أو ذنبًا كبيرًا.

وبقدر ما تصحب الذنوب آلام الضمير، تصحبها سعادة، أو لذة، وأمينة قد أحست بالشعورين جميعًا، السعادة الجارفة، الجهامة العميقة. إنه ضرب من الازدواج الوجدانى يستطيع الملمون بعلم النفس أن يسهبوا فى الحديث عنه.

لا، لا..

لست أريد حين أفتح عليك أبواب التفسير الوجودى، أو اللغوى، أو النفسى، أن أخدعك، وأصرف انتباهك عن الدلالة الاجتماعية والسياسية للرواية.

أنا أسلم معك بأن الرواية مناقشة عميقة لظاهرة التطرف الدينى فى مصر، بخاصة فى الثمانينات، وأقول إن هذه الرواية جريئة فى إثارة القضية ومعالجتها، وأضيف إنها تمتاز على غيرها بأنها لا تحصر الأمر فى مسألة الفتنة الطائفية، والتلويح بخطاب عاطفى. قد يكون إنشائيا وعظيًا. يؤكد أن الشعب المصرى يتمتع بوحدة متينة للنسيج، وعجبة عميقة متبادلة بين عنصرى الأمة المسلمين والمسيحيين، وهو خطاب مألوف، شائع، وصادق، منذ ثورة ١٩١٩ إلى اليوم.

ويستمد التناول فى الرواية عمقه من زاويتين متناقضتين مهمتين.

الزاوية الأولى أن السلوك الدينى المعاصر سلوك إنسانى فى المحل الأول.

والزاوية الأخرى أن التشدد الدينى الذى يكتنفه الغلو تكتنفه الخطيئة فى الوقت نفسه.

كانت أمينة فتاة تبحث عن الحرية. ترتدى ثيابًا ضيقة، وتحب أن تخرج إلى الطريق لتداعب شباب الطريق، ولكنها ذات يوم من حياتها الخانقة، رأت كائنًا نورانيًا كالطيف، وانبعثت بعدها لتغطى شعرها وترتدى الحجاب، ولا يعنيها دهشة الناس، واستياء الأهل، وتصورهم لها أنها قد التاثت. هل يكون حجابها معادلاً موضوعيًا لشعورها بأنها مسجونة الإرادة، فسجنت جسمها؟.

هل يكون حجابها تعبيرًا عن شعورها بأن العالم ملوث، ممعن فى الخطيئة، وأنها فى حاجة إلى التطهر؟. لا يفهم الحجاب هنا بوصفه استجابة لصرعة اجتماعية، أو انحيازًا لقوى سياسية، أو تأثرًا بظروف اقتصادية سيئة، أو ثمرة للجهل، الحجاب هنا فعل إنسانى، يكتنفه الألم والفرح، والحرية والقهر، الأمل واليأس، والعقل والجنون، الخطيئة والبراءة.

كدت أتصور أمينة تحركها الخرافة، وهى تحكى قائلة: «وفى ليلة من الليالى، رأيت فى نومى بعد صلاة العشاء نورًا أبيض يقف أمام سريرى فوقفت أمامه فألبسنى طرحة بيضاء وجلبابًا طويلاً وأسدل طرحتى على صدرى حتى وصلت ركبتى ثم اختفى». ولكن النور الأبيض، الذى يشبه أحمد: الشاب الملتحى الذى أحبته، ومات ميتة عبثية، لايزال حلما تراه فى نومها، كما ترى أحمد، وتخاطبه، فى أحلام يقظتها، لماذا لا نقول أن النور الأبيض طيف، كالطيف الذى ذكره جاك دريدا فى كتابه «أطياف ماركس» ولكنه ليس حلمًا أيديولوجيًا محضًا، بقدر ما هو حلم الإنسان، بالنور فى عالم الظلام، وبالبياض فى عالم السواد؟!.

لا يغيب عن الرواية الصراع السياسى الذى يحيط بالسلوك الدينى المعاصر، وفى الرواية إشارات إلى عنف الشرطة، والإدارة الجامعية مع الملتحين والمنقبات، وفيها إشارات لعنف الغلاة فى التدين، وجرائم القتل التى ارتكبوها، وفظاظتهم فى الدعوة الدينية

ـ تذكر زوج أم هاشم وفظاظته فى محاورة زوج أمينة الفظ ـ وفيها مشهد يصور فظاظة المنقبات وعنفهن وهن يسببن أمينة حين تؤدي عملها بالكشف عن وجوههن قبيل دخول لجنة الامتحان. ولكن أمينة ذات دوافع إنسانية لا أيديولوجية.

ربما ينبغى أن نقول أن الأيديولوجيا تستلب دوافعنا الإنسانية النبيلة ورموز حلمنا الأيديولوجية ضد الإنسان.

نعرف أن أجهزة الأمن فى مصر قد وفقت إلى إيقاف تيار العنف، ولكن القراءة الإنسانية للسلوك الدينى المعاصر تومئ الرواية أنها لا تزال واجبة.

أو هى أوجب من أى وقت مضى.

التعاطف مع الرواية هو السبيل لإدراك هذا المعنى.

والتعاطف مع الرواية هو السبيل كذلك لتفهم خطاياها.

لقد بدأت أمينة باللَّمم: بدأت بجولات الشارع، ورفض العرسان، لا تعدم فى بداياتها استسلامًا منها لطيش مدرسها الذى عبث بجسمها، ولكنها امتنعت عنه فى وقت مناسب. وتحولت ذنوبها الصغيرة إلى كبائر بعد أن تفتحت شخصيتها ولم تجد إلا مرارات وأسبابًا للقهر.

كانت أمرَّ تجارب أمينة ـ التى اعتادت كلما أصابها شيء أن تقول: يا مريِّ ـ زواجها من رجل بارد المشاعر عاجز أن يمنحها

الحنان. اقرأ المشهد الذى يصور سفرهما، عقب عقد القران إلى ليبيا. فى سفرهما، عروسين شابين، ظهرت شخصيته لها: لم يوجه لها حديثًا، وأتى على الطعام وحده، ولم يصحبها إلى دورة المياه فى استراحة السفر وسط الصحراء، وبخل عليها بأن تأخذ معها منشفة فى ذهابها إلى الحمام، وفى ليبيا تركها شهرًا بلا طعام معتمدًا على أن الجيران سيهدونها كل يوم طعاما، مستمتعًا هو بدعوات الطعام التى يوجهها له أصدقاؤه، وحين كان يضاجعها كان بارد الشعور، وأنانيًا، اقرأ قولها: «وجلست أرتب البيت وأنظفه وأرهقت ولم أشعر إلا عصر اليوم التالى ووجدتنى عارية ونقط دم على فوطة بجوارى ولم أتكلم لكن كرهته كراهة الخوف والذبح والفضيحة». لابد أن هذه العبارة فى موضعها، قد لفتت نظرك؛ ففيها مرارة تدوم فى نفس عروس بكر كانت تحلم بزوج حنون محب، فوجدت رجلاً أنانيًا، لا يرحم إرهاقها، ويتناول جسدها ببرود كريه، يجعلها تربط، ذهنيًا، هذه اللحظات الحاسمة فى حياة كل أنثى بمعانى الخوف، والذبح والفضيحة. بعبارة أخرى، لقد جعل لها اللقاء الشرعى، الذى جعله الله سعادة كبرى لكل شابين، شبيهًا بالزنا، أو الاغتصاب، أو الكبائر، وذلك لأنه جرده من أهم شرط شرطه الله عز وجل فيه، وهو المودة والرحمة.

قالت أمينة: «سحبنى إلى سافنجة النوم الأرضى وأرهقنى ونمت».

ذهب فريق مهم من فقهاء المسلمين إلى أن النصوص الدينية حين جعلت «لمس» الذكر للأنثى، أو الأنثى للذكر، سببًا لانتقاض الوضوء، كانت هذه النصوص تستخدم وجهًا بارعًا من وجوه البلاغة العربية، إذ جعلت اللمس كناية عن المعاشرة الزوجية، أو جعلت اللمس مجازًا مرسلاً ضمنًا إلى المعاشرة، إشارة السبب إلى النتيجة، أو إشارة الذريعة إلى الغاية.

وفى عبارة أمينة من البلاغة العربية وجوه مبدعة.

لقد أوجزت أمينة الفعل الجنسى كله فى كلمات ثلاث: «سحبنى»، «أرهقنى»، و«نمت» وببلاغة الإيجاز تهربت من وصف المشهد، وكشف العورة، وبإخفاء المشهد جعلته كريهًا لا تقوى على تفصيله.

ومثلما كان «اللمس» صبغا بلاغيًا ينوب ببراعة عن ذكر المعاشرة، صار الإرهاق صبغًا بلاغيًا مشابهًا ينوب كذلك عن المعنى نفسه، ولا أظن لفظة عربية أوقع، فى هذا الموضع، من مادة «الإرهاق» اللغوية.

يدعمها لفظة «سحبنى» التى تتعاطف مع كلمة «الذبح» فى المقتبس الأسبق، لترسم لنا اللفظتان صورة الضحية التى تساق إلى الذبح.

ويفيدنا التعاقب الواضح بين السحب والإرهاق والنوم بأن اللقاء آلى، خال من الشعور، ينتهى إلى هروب من قبحة تلوذ فيه بأطواء النوم.

ربما كانت فاء التعقيب، فى هذا الموضع، من وجهة نظر البلاغة العربية، أوقع، لكنها كانت ستجعل العبارة أفصح، لا بمعنى أوضح، بل بمعنى أبعد من لغة الحياة اليومية والحديث المباشر، وأقرب إلى اللغة الكتابية، وقد علمنا من قبل أن قانون اللغة فى الرواية أن تحافظ على مسافة قصيرة من العامية، تتسق مع كونها مونولوجًا طويلاً، وحديثًا مباشرًا من الراوية إلى القارئ.

ينبغى أن تدرك مشاعر أمينة، وآلامها، حتى تدرك أن علاقتها بجمال، التى وصفتها زميلتها أم هاشم بأنها زنا، كانت مدفوعة بآلام خانقة.

ربما لا يبرر شىء الزنا، ولكن إدراك السياق النفسى وراء الزنا يفسر لنا الأمر على نحو مختلف، وربما تقول إن علاقة أمينة بزوجها كانت ضربًا من الاغتصاب والزنا، وأن علاقتها بجمال كانت مساحة من الحرية الانسانية لا تخلو من انتقام خفى من زوج أنانى خان زوجته فى بيت الزوجة بغير حياء. لقدحول زوج أمينة العلاقة الشرعية إلى زنا، فتحول الزنا إلى مودة ورحمة.

والتبس تدين أمينة بالخطيئة.

أعرف أن كثيرًا من الناس لن يطيقوا هذه الأفكار.

لن يطيقوا أن يلتبس التدين بالخطيئة، وسيتوهمون إن الرواية تريد أن تشوه صورة المتدينين، وهذا أبعد شىء عن رواية تنشئ عند القارئ تعاطفًا ملحوظًا مع امرأة محجبة - ومنقبة فى بعض الأوقات.

ولن يطيقوا هذا التبادل العجيب فى المواقع، فصار الزواج زنا،

وصار الزنا مودة ورحمة. على أية حال يستطيع الذين يصرون على أن يكون الفن واعظًا أن يجدوا فى الرواية بغيتهم. لقد أدانت أم هاشم أمينة، ووصفتها بالزانية، ولم تجادل أمينة فى الأمر، ولم تنكره، ولم تسق حججا فى دحضه وإنكاره.

وأصرت أمينة على السفر إلى باريس، وهناك، فى مرسيليا، جاء عشيقها جمال، فلم يمنحها من حبه ما تحتاج إليه، وغاب عنها غيابًا يفسره القارئ - ربما - بأنه وجد فى نساء باريس ما يقضى وطره، وفى مصر اتصل بها جمال من عمله بالكويت، يخبرها أنه عائد إلى مصر، لا لأجلها، وإنما ليتزوج من أخرى.

والشاب الملتحى أحمد الذى احبته، مات ميتة عبثية، ولم تفز منه بشىء، إلا صورة فى مخيلتها، تخاطبها بين الوقت والآخر.

وانتهى بها الأمر إلى أن تعيش مع زوج تكرهه.

يستطيع القارئ أن يجد فى هذا كله صورًا من الإخفاق، انتهت إليه أمينة، وكان عقاب الرواية للراوية على ذنوبها الكبيرة (= الجميلة)

والقارئ الذى يصر على أن يدين الجماعات الدينية التى رأت أن قتل الأبرياء وسيلتها لزعزعة الدولة، وإسقاط الحكومة، وفرض أنفسهم على النظام، سيجد فى المونولوج الأخير الخاتم للرواية عبارات كثيرة تدين فيها أمينة هذا القتل. اقرأ قول أمينة:

«يا ربنا يا حبيبى، يا خالق الليل والنهار، والذكر والأنثى والعصافير الجميلة، لماذا خلقت القتل والهجر والحرمان والغباء والخوف من كلام الناس؟

لماذا وضعت السلاح فى يد أحمد ورفاقه؟

ووضعت زوجى فى طريقى؟

ووضعت أم هاشم القاسية فى رفقتى لتقول لى بالفم المليان أنت زانية لا تضحكى على نفسك؟»..

أمينة مفعمة بحب الله.. وأول ما تستنكره القتل، والسلاح الذى استخدمه أهل العنف. ولكن استنكار القتل لا ينفصل عن استنكار وجوه الظلم والقهر والفظاظة الأخرى.

تقول أمينة فى استفهام إنكارى واضح: «يادين الله العظيم هل يمكن أن تكون قتلاً ودماراً؟».

وقالت! «فهمت من حواراتى مع أم هاشم أنها قضيتك! وهى أن تقيم شرع الله، ولكن هل يقام بالقتل؟ يمكن أن يقام بالحب.....».

صوت أمينة الحائر لا يخلو من خطاب وعظى معذِّب.

تريد أمينة أن تعلمنا أن ذنوبنا قد تظل ذنوبًا، ولكنها يمكن أن تكون ذنوبًا جميلة، حين نكتشف ما فى نفوسنا من جمال.

ولكن:

من يقوى على رؤية جمال النفوس؟!!.

مجدى أحمد توفيق

الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org